آليّات التّجنيد الإخواني
بين العلنيّة والسّريّة

صلاح الدّين حسن
باحث مصري

ماهر فرغلي
باحث مصريّ

جميع الحقوق محفوظة © 2017
www.hafryat.com

All rights reserved © 2017
www.hafryat.com

مدخل:

تمتلك جماعة الإخوان المسلمين منهجًا عامًا في التّجنيد، أنتجته من خلال خبراتها في العمل الدعويّ والتربويّ على السّاحة المصريّة، منذ نشأتها في النّصف الأوّل من القرن العشرين، ولم يكن ذلك المنهج منتوجًا خالصًا لها من دون التّجارب الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة السّابقة على نشأتها؛ بل استفادت، بلا شكّ، من الخبرات الصوفيّة الطرقيّة، ومشروعات الجماعات والتّنظيمات والأفراد الدينيّين وغيرهم.

ظلّ هذا المنهج ثابتًا لديها، تخضعه لبعض التّعديلات والمواءمات كي يناسب كلّ مرحلة تمرّ بها الجماعة، أو لتغيّر بيئتها التي تنتقل إليها لتمدّ فرعًا جديدًا لها هنا وهناك، ومع أنّ ممارسات ذلك المنهج ظلّت علنيّة، وكتب بعض ملامحها قيادات من الوزن الثّقيل من أمثال مصطفى مشهور، المرشد الخامس للجماعة، ظلّ المنهج غير معلَن عنه وغير مكتوب، وبات أشبه بـ(المنافستو العرفيّ والسريّ) الذي تتوارثه الأجيال، فيتشكّل وجدانهم عليه، ويمارسونه آليًّا وتلقائيًّا لجذب عناصر جدد، يحملون رايتها، ويكثرون به سوادها.

رغم أنّ كلّ فرد في الجماعة مكلَّف بعمليّة التّجنيد تحت مسمَّى الدّعوة، إلّا أنّها اختصّت الآلاف ممّن ظهر لديهم مهارات ذلك الفنّ، تحت قسم هيكليّ في الجماعة، يمتدّ من أعلى الهرم حتّى أسفله، يشرف عليه عضو في مكتب الإرشاد، وهو أعلى سلطة تنفيذيّة في التّنظيم، وينسحب ذلك القسم على كافّة التنظيم، رأسيًّا وأفقيًّا، بدءًا من مكتب الإرشاد، مرورًا بمجلس الشّورى، حتّى القطاعات والمناطق والشّعب، كما أنّ كلّ عنصر داخل التّنظيم يستطيع استجلاب عنصر جديد، فإنّ ذلك يعزّز من وضعيّته داخل التّنظيم، ويسمح له بالتّرقي داخلها، كما أنّه كلّما زاد الضّغط الأمنيّ على الجماعة ودخلت في مساحة أكثر سريّة، قلّت نسب التّجنيد داخلها، وكلّما اقتربت من مساحة العلنيّة والابتعاد عن مساحة الصّدام العنيف بالسّلطة، أتيحت لها فرص كبيرة في استقطاب عناصر جدد.

إنّ جماعة الإخوان تنظيم مغلق، حديديّ، لا يظهر منه على السّطح إلّا جزء ضئيل، ولا تسمح الجماعة لعامّة النّاس بالاطلاع على لوائحها الداخليّة، أو مناهجها التربويّة، أو أهدافها المرحليّة، ولا سبل نيل عضويّتها، ولا أساليب التّصعيد للمواقع القياديّة داخلها، مما يجعل من محاولات إدراك «الحقيقة البنيويّة» لها مهمّة صعبة على أيّ باحث.

الاطّلاع على المناهج التربويّة للإخوان كفيل بكشف جزء كبير ومهمّ من أهداف الجماعة ووسائلها، وأساليب تعاملها مع المجتمع، والسّلطة، وأجهزة الدّولة، والقوى السّياسية، وقادة الفكر والرّأي، والمنشقّين عنها، والجماعات الدينيّة الأخرى، ووسائلها العلنيّة في التّجنيد أيضًا.

أهمّ ما تكشفه مناهج الإخوان: كيفيّة صناعة العضويّة، ووسائل تأهيل من ترغب الجماعة في ضمّه لصفوفها، وترسيخ الشّروط المطلوبة لهذه العضويّة، عبر محاضن تربويّة، تصهر الأفراد بأفكار الجماعة ورؤاها، وإخراجهم في حالة من الاستعداد التامّ للسّمع والطّاعة، وتنفيذ تكاليف التّنظيم دون تردّد، والثّقة في قيادة الجماعة مهما كان ما يصدر عنها، حتّى لو كان غريبًا أو مناقضًا لبديهيّات العقل.

تقوم المناهج التربويّة للإخوان على عدد من الكتب، من أهمّها: «في ظلال القرآن»، و«معالم في الطّريق» لسيد قطب، و«الرسائل» لحسن البنا، و«المنهج الحركيّ للسّيرة النبويّة» للإخوانيّ محمد منير الغضبان، و«المدخل إلى جماعة الإخوان» للقياديّ السوريّ سعيد حوى، وكتب اللبنانيّ فتحي يكن، والعراقي محمد أحمد الراشد، كما وضع قسم التربية كتابًا مهمًّا من جزأين، بعنوان «طرق التدريس»، ووضع على غلافه اسمًا وهميًّا: هو ماجد بن يحيى العويسان.

بعض هذه الكتب السّابقة مقرّر للدّراسة داخل الأسر الإخوانيّة، وبعضها غير مقرّر بصفة رسميّة، لكنّ القيادات تحثّ أفراد الصفّ على قراءته ونشره بين الأعضاء، كما أنّ بعض هذه الكتب دُرّست لنحو ربع قرن، ثمّ أوقف تدريسها قسم التّربية، واستبدلها بأخرى تحوي نفس الأفكار، وتؤصّل للأفكار الرئيسة لجماعة الإخوان التي يمكن أن نردّها إلى أربعة أركان: التّنظيم، والسريّة، والمرحليّة، والقوّة.

أوّل ما يلفت الانتباه في مسألة التجنيد والاستقطاب داخل جماعة الإخوان؛ الطّريقة في حدّ ذاتها، التي تستند، بالأساس، على البعد الدينيّ؛ فإمّا أن يتم التّجنيد من خلال اللّعب على أوتار الغريزة الإيمانيّة الدينيّة، واستثارة الحسّ الدينيّ لدى قطاعات واسعة من الشّعب المصريّ، أو أن يتمّ من خلال استغلال شبكة العلاقات الاجتماعيّة والعائليّة لتوسيع دائرة المتعاطفين، والرّاغبين في الانخراط في الجماعة لاحقًا.

(1) منهج التّجنيد عند حسن البنا:

انطلق حسن البنا في تكوينه لجماعته، من رؤية شموليّة تجميعيّة تهدف إلى إعادة بناء الدولة الإسلاميّة وأستاذيتها للعالم، عبر التمسّك بالإسلام في مفهومه العامّ0، كان قادمًا من العالم الصوفيّ الروحانيّ، إلى الفضاء السلفيّ ذي الخصوصية المصريّة، في ظلّ بيئة ليبرالية مصريّة متأثّرة بروح تغريبيّة، لم يكن بعد قد غزتها تيارات السلفيّة القادمة من الجزيرة العربيّة، كانت للحياة المصريّة طابعها الخاصّ؛ فهي بيئة حضريّة ريفيّة لها دولة مدنيّة منذ آلاف السّنين، تبعد كثيرًا عن البداوة، وتميل كثيرًا إلى التصوّف والتّسامح مع المخالفين، والتّيسير في أمور العبادة وبساطة الاعتقاد(.

في ظلّ هذه البيئة؛ أطلق حسن البنا دعوته قاصدًا، بالأساس، تجميع جموع المسلمين عليها، وإن عمل بعد ذلك على وضع أسس وقواعد عامّة مرجعية لهذه الجماعة، تمثّلت في الأصول العشرين، لكنّ إطلاق فكرة الجماعة كان سابقًا على تحديد منهجها الذي يبدو أنّه ظلّ، في رؤية الرّجل، غير محدد المعالم بشكل قاطع، فالرّجل كان ما زال شابًّا دفعته العاطفة إلى محاولة طرح دعوته وتنفيذها حركيًّا، فظلّ ينقصها التّنظير، وشغل نفسه بتحقيق المشروع الكلّي دون الوقوع في وحل التّفصيلات، التي كانت من الممكن أن تعصف بمشروعه أو تعيقه على الأقل.

كان البنا، من الناحية العمليّة، غير متشدّد فقهيًّا؛ فقد روى رفيقه فريد عبد الخالق أنّ «شابًّا مترفًا من بني مزار– صعيد مصر- دعا حسن البنا إلى أن يلقي درسًا في عزبته، فقال له هذا الشاب: إنّي أحبّ الصّلاة، لكنّني لا أريد الوضوء، فقال له: لماذا؟ قال: أنا مترف، وأظلّ ساعة في حوض الاستحمام صباحًا، وأقضي فيه ساعة في المساء قبل النّوم، فأظلّ طاهرًا، فقال له: لا ضير ما دمت طاهرًا، صلِّ من غير وضوء، فقال فريد عبد الخالق: ففزعت من ردّه، وقرأ في عينيَّ استنكارًا وعجبًا، فالوضوء أمره معروف، وليس فيه إفتاء، فكيف يحدث هذا، ونصلّي من غير وضوء؟ كيف! الفتوى وجدتها جاوزت الحدّ، وعندما خرجنا من العزبة، قال لي: أظنّ أنّه لم يعجبك ما قلته؟ قلت له: نعم، لم يعجبني؛ لأنّك تحدّثت في موضوع يوجد فيه نصّ صريح، فعندما يوجد نصّ لا يوجد اجتهاد، قال لي: اسمع، كن رجلًا عمليًّا، فإمّا أنّه سيصدّق مع الله ويحسن الصّلاة، فيحسن الوضوء، وإلّا ما خسرنا شيء... إلخ»(.

يضيف: «البنا» لم يكن متشدّدًا فقهيًّا، فلم تكن مضت على معرفتي به سنتان، إلّا أنّني فوجئت أنّه يطلب مني أن أصحبه للصّعيد منفردَين، عرفت، بعد ذلك، أنّه كان يريد الانفراد بي لإحداث تغييرات في ذاتي، وكنت آنذاك أدخّن، فأخرجت علبة السّجائر، وأخذت أدخّن دون تكلّف، وتركني حتّى انتهيت، وتودّد إليّ هامسًا: أريد أن أقول لك شيئًا، أنت في طريق سيؤدّي بك، إن أردت أو لم ترد، إلى السّجن والاعتقال، فعندما تكون هذه عادتك التي لا تستطيع الاستغناء عنها، وهي التي تتحكّم فيك؛ كيف سيكون حالك وأنت في الزّنزانة؟ أستنتظر استجداءً من الحارس ليعطيك سيجارة؟! فيا للمذلّة والهوان اللّذين ستحياهما، ولم يذكر لي

حرامًا أو حلالًا، ولم يناقشني من حيث الشّرع، فلم أجدني إلّا وقد ألقيت علبة السجائر التي كانت في جيبي من شبّاك القطار، هذا هو عمل أهل الدّعوات، وهذه هي الرّسالة الحقيقية للجماعات الإسلاميّة (التّربية)[ ].

كما أنّ البنا ظلّ محافظًا على أوراده الصوفيّة حتّى مماته، كما ذكر أبو الحسن الندوي في كتابه «التّفسير السياسيّ للإسلام» ، وهذا يؤشّر على بعده عن المنهجيّة السلفيّة الصّارمة، ويثبت تأثير التصوّف عليه، قال عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»: «دعا الإخوان المسلمون بالإسكندريّة إلى الاحتفال بذكرى مولد الرّسول ﷺ، وأقاموا حفلًا حضره فضيلة المرشد العامّ بمسجد النّبي دانيال، وبدأ الأستاذ المرشد حسن البنا محاضرته، ثم دخل في موضوع الذكرى، فقال: نحيي ذكرى مولد الرّسولﷺ، ومن حقّ النّاس جميعًا- مسلمين وغير مسلمين- أن يحتفلوا بهذه الذّكرى المباركة، فرسولنا ﷺ لم يأت للمسلمين فقط»[ ].

في يوم الاثنين ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٢٧: توجّه الأستاذ حسن البنا إلى مدينة الإسماعيلية، ليتسلّم عمله مدرّسًا في مدارس وزارة المعارف، تلك المدينة التي لم يعرفها من قبل، ولم يكن له حظّ التعرّف على شيء من أحوالها، وكعادة أيّ غريب؛ فقد نزل في منزل خاصّ مع أحد أصدقائه، ولا يجد- في أوّل أمره- من وسيلة سوى قضائه الوقت بين المسجد والمدرسة، دون أن يحاول التعرّف إلى شيء في البلد، لكنّ قضاء الوقت بهذه الطريقة مكّن البنا من التعرّف إلى كثير من أبناء الإسماعيلية المتعلّقين بالمسائل الدينيّة والاجتماعيّة[ ].

لقد عرف أنّ الإسماعيلية – قديمًا- تغلب عليها النّزعة الأوروبيّة؛ إذ تحيط بها المعسكرات البريطانيّة من كلّ جانب، ومعظم أهلها يعملون مع الإنجليز في المعسكرات؛ لذا فهم متّصلون بالحياة الأوروبيّة من قريب، ويطالعون وجوه الحياة الأوربيّة في كلّ مكان، ومع هذا كلّه، فقد كان في الإسماعيلية شعور إسلاميّ قويّ، والتفاف حول العلماء، وتقدير لما يقولون، كما عرف أنّ رجلًا غيره قد سبقه في الدّعوة إلى الإصلاح، لكنّ فكرته كانت مستغربَة، فقاومها العلماء، وانقسم النّاس إلى قسمين: فريق يؤيّد، وفريق يطعن، فعلم أنّ التحيّز للآراء لا يصحّ أن يكون طريقًا لاجتماع القلوب وبناء الوحدة المنشودة، ومن هنا؛ نشأت عنده ضرورة دراسة مجتمع الإسماعيلية، التي صارت في عرف فنّ تبليغ الدّعوة بعنصر «دراسة المجتمع المحليّ»، للتعرّف إلى مشكلاته، وثقافته، وعاداته، وتقاليده لتحديد الباب الذي ينفذ منه الدّاعية إلى المجتمع ليرضى النّاس عنه.

(أ) المنهج مع المجتمع:

أوّلًا: التعرّف إلى تاريخ المجتمع المحليّ، ومعرفة أحداثه وقضاياه ومقوّماته.

ثانيًا: تحديد القطاعات الرّئيسة في المجتمع، التي لها جاذبية فعّالة داخل نفوس النّاس.

ثالثًا: تحديد وسائل الاتّصال بكلّ مستوى في المجتمع؛ لإيصال الدّعوة إليه، أو لتجنّبه وقتيًّا.

رابعًا: تربية دعاة يقومون بدور التّهيئة للدّعوة، ويساعدون في العمل على انتشارها وتأسيس مؤسّساتها.

يقول حسن البنا في (مذكّرات الدّعوة والدّاعية):

«قضيتُ على هذا الأسلوب أكثر من نصف العام الدّراسيّ الأوّل في الإسماعيلية، أعني؛ ما بقي من

سنة ١٩٢٧، ثمّ أوائل سنة ١٩٢٨م، وقد كان هدفي في هذه الفترة دراسة النّاس والأوضاع دراسة دقيقة، ومعرفة عوامل التّأثير في هذا المجتمع الجديد.

وقد عرفتُ أنّ هذه العوامل أربعة:

أوّلًا: العلماء.

ثانيًا: شيوخ الطّرق.

رابعًا: الأعيان.

خامسًا: الأندية.

أمّا العلماء؛ فقد سلكتُ معهم مسلك الصّداقة والتّوقير والإجلال الكامل، وحرصت على ألّا أتقدّم أحدًا منهم في درس أو محاضرة أو خطبة، وإذا كنت أدرس وقدم أحدهم، تنحّيتُ له وقدّمتُه للنّاس، وكان لهذا الأسلوب أثره في أنفسهم، فظفرتُ منهم بالكلمة الطّيبة(١).

تطبيق هذه المرحلة من المنهاج قد يصادفها موقف يحكيه (البنا) على أنّه من النّكات اللّطيفة، فيقول: من النّكات اللّطيفة؛ أنّ أحد قدامى المشايخ الذي قضوا بالأزهر الشّريف سنوات طوالًا على نظامه الأوّل تقريبًا، وكان من الموّلعين بالجدل ومحاولة إحراج الوعّاظ والعلماء بطرح مسائل غير مطروقة، والتعرّض لمعان وموضوعات من حواش الكتب القديمة، حاول هذا الشّيخ إحراجي ذات يوم، وأنا أقصّ قصّة إبراهيم الخليل- عليه السّلام- على الناس، فسألني عن اسم أبيه– سيدنا إبراهيم- فابتسمت، وذكرت له آراء العلماء في المسألة، غير أنّني تلفّظت بكلمة تارخ (بكسر الراء)، فقال لي: هي بضمّ الرّاء، فقلت له: هذا اسم أعجميّ، وضبطه يتوقّف على معرفة اللّغة، والمهمّ من القصّة العبرة والعظة، لكنّ الشيخ أراد أن يتّخذ معي دومًا هذا الأسلوب ليهرب العامّة، ولتضيع الجهود سدى، ففكّرت في علاج هذا الشّيخ، فدعوته إلى المنزل وأكرمته، وقدّمت له كتابَين: في الفقه والتصوّف، وطمأنته بأنّني مستعدّ لمهاداته بما شاء من الكتب، فسرّ الرّجل سرورًا عظيمًا، وواظب على حضور الدّروس والإصغاء إليها، فقلت في نفسي: صدق رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابّوا»(٢).

يكمل البنا: أمّا رجال الطّرق؛ فقد كانوا كثرة كثيرة في هذا البلد الطّيبة قلوب أهله، وكان يتردّد عليهم الكثير من الشّيوخ، ولا أنسى مجالس الشيخ حسن المسلمي، والشيخ عبود الشاذلي، والشيخ عبدالوهاب الدندراوي وغيرهم، وفي هذه الفترة؛ زار الإسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد، وهو من خلفاء الشيخ الحصافي؛ فهو أخ في الطريق، وكان يدرّس ويعظ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذّكر، دخل المسجد، ولم أكن أعرفه ولا يعرفني، فدرَّس ووعظ، ثمّ دعا النّاس إلى الذّكر، فرأيت أسلوب الطريقة الحصافيّة، وتعرّفت إليه أخيرًا، لكنّ الحقّ أنّني لم أكن متحمّسًا لنشر الدّعوة على أنّها طريق خاصّ، لأسباب أهمّها: أنّني لا أريد الدّخول في خصومة مع أبناء الطّرق الأخرى، ولا أريد أن تكون الدّعوة محصورة في نفر من المسلمين، ولا في ناحية من نواحي الإصلاح الإسلاميّ، لكنّني حاولت جاهدًا أن تكون الدّعوة عامّة، قوامها: العلم والتّربية والجهاد، فهذه أركان الدّعوة الإسلاميّة الجامعة، ومن أراد بعد ذلك تربية خاصّة، فهو ما يختار لنفسه، لكنّني- مع هذا- أكرمتُ الشيخ عبد الرحمن سعد، وأحسنتُ استقباله، ودعوتُ الرّاغبين في الطّريق إلى الأخذ عنه، والاستماع إليه حتّى سافر، أمّا العامل الرّابع- وهو الأندية- فقد كان في الإسماعيلية ناد واحد، هو: «نادي العمل» الذي أنشأته جمعيّة التعاون، وكان فيه نخبة من الشّباب المثقّف الذي يريد أن يستمع ويتعلّم، وكان هناك كذلك فرع جمعيّة منع المسكرات تُلقى فيه بعض المحاضرات والأحاديث المتعلّقة بهذا الغرض، وقد انتهزتُ هذه الفرصة، فاتّصلتُ بالنّاخبين وألقيتُ بعض المحاضرات الدّينية والاجتماعيّة والتاريخيّة؛ التي كانت سببًا في تهيئة نفوس كثير من المثقّفين للدّعوة المستقبليّة(٣).

.

(ب) استخدام الصوفيّة:

لحسن البنا التّأثير الأكبر في جماعة الإخوان؛ فهو المرشد الأوّل، والأب الروحيّ، والقدوة الكبيرة، والبنا انخرط في العمل الجماعيّ التنظيميّ منذ نعومة أظافره، فكان أحد المؤسّسين لجمعيّة الأخلاق الأدبيّة، وكان هدفها رفع مستوى الأخلاق والتخاطب بين التلاميذ، ووضع لها لائحة ضمّت جزاءات وتكليفات، ثمّ ذهب إلى تأسيس جمعيّة أخرى، سمّاها وأقرانه «جمعيّة منع المحرّمات»، ثمّ حماية الأخلاق من التّدهور – الأمانة في العمل الاجتماعيّ- جمعيّة منع المحرّمات وهو لم يبلغ الحلم بعد، ثمّ كان التأثير الأكبر للتصوّف في وجدانه، وبدأ الانجذاب إلى حلقات الذّكر في الطّريقة الحصافيّة، وتأثر بكتاب (المنهل الصّافي في مناقب الشيخ حسنين الحصافي)(.

تفعل الصوفية بالمريدين فعلها، وأثّرت في شخصيّة البنا للدّرجة التي أثّرت في طريقة جذبه للأعضاء، وطريقة تشكيله لجماعته وتنظيمه، فأطلق مسمَّى «الإخوان» على جماعته، وهو مسمّى صوفيّ، وجعل لها أورادًا، منها: ورد الرّابطة؛ وهو مصطلح صوفيّ أيضًا، كما يفعل الصوفيّة، وبات السّمع والطّاعة ركنًا لديه، كما هي علاقة المريد بشيخه، يقول البنا في «مذكّرات الدّعوة والدّاعية»: «قد أفادتني صحبة الشيخ أعظم فائدة، وما علمتُ عليه في دينه وطريقه إلا خيرًا، وقد امتاز، في شخصيّته وإرشاده ومسلكه، بكثير من الخصال الطيّبة من العفّة الكاملة عمّا في أيدي النّاس، ومن الجدّ في الأمور، والتّحرر من صرف الأوقات في غير العلم أو التعلّم، أو الذّكر، أو الطّاعة، أو التعبّد، سواء كان وحده أم مع إخوانه ومريديه، ومن حسن التّوجيه لهم وصرفهم عمليًّا إلى طاعة الله، وأذكر من أساليبه الحكيمة في التّربية؛ أنّه لم يكن يسمح للإخوان المتعلّمين أن يكثروا من الجدل في الخلافيّات أو المتشابهات، أو يردّدوا كلام الملاحدة أو الزّنادقة أو المبشّرين أمام العوام من الإخوان، وكان يقول لهم: اجعلوا هذه في مجالسكم الخاصّة، تتدارسونها فيما بينكم، أمّا هؤلاء العوام؛ فتحدّثوا أمامهم بالمعاني المؤثّرة العمليّة، التي توجههم إلى طاعة الله؛ لأنّه يجوز أن تتعلّق بنفس أحدهم شبهة، ولا يفهم الردّ عليها، فيتشوّش اعتقاده بلا سبب)

.

يلحّ البنا في كتبه على هذه النّقطة، ويلحّ على التربية الروحيّة، وعلى الذّكر والمداومة على الأوراد والوظيفة الجماعيّة، ويلحّ على الروحانيّة الصوفيّة(.

(2) آليات التّجنيد في جماعة الإخوان:

يعتمد التّجنيد الإخوانيّ على آليّتين، لا ثالث لهما، هما:

١- سوسيولوجيا الذّاكرة الدينيّة:

هي مقولة وضع أساسها عالم الاجتماع الفرنسيّ (موريس هالبواش/ ١٨٧٧- ١٩٤٥) في كتابه «الأطر الاجتماعية للذّاكرة»؛ حيث ينطلق هذا المبدأ من مقولة كلاسيكيّة تفترض حاجة المجتمعات إلى إعادة إحياء منظومة من الشّعائر والمعتقدات، التي تأتي من الماضي، ولا تزال تتمتّع بحيويّة داخل البنية الفكريّة لمجتمع ما، وذلك على غرار الحال في المجتمعات الإسلاميّة التي لا تزال تنظر للعهد الإسلاميّ الأول نظرة مثاليّة، وقد يكون بالفعل كذلك، بيد أن المعضلة هي في محاولة البعض إعادة «تمثّل» هذا العهد بكلّ عناصره، دون القدرة على تجديد أدواته في فهم متغيّرات الواقع الرّاهن.

السوسيولوجيا وفّرت وقودًا هائلًا لحركات الإحياء الدينيّ كافّة، التي شهدها العالم الإسلاميّ طوال تاريخه، وكما يقول هالبواش؛ فإنّ الذّاكرة الدينيّة مرجعيّتها في حقبة تاريخيّة قديمة، لكنّها تسعى جاهدة إلى

الابتعاد عن هذا الزّمن التاريخيّ، مستخدمة في ذلك كلّ الوسائل من أجل بناء هذه الذاكرة، وتحويلها إلى حقيقة أزليّة مطلقة.

يلعب الإيمان الدينيّ دوره في استدعاء الذّاكرة وإعادة شحنها في نمط محدّد يسمح بتأمين استمراريّة الرّسالة الدينيّة، ذلك من خلال تعاقب الأجيال المؤمنة التي تمثّلها الجماعات الدينيّة، التي تسعى إلى كسب السّاحة وتوسيع دائرة المتعاطفين معها، بيد أنّ الغالبيّة يهيمن عليها قدر من الذّاكرة التاريخيّة الدينيّة، يحنّ لظلالها، ويضعها هدفًا يسعى لتحقيقه، بما يجسّد الأمل الحقيقيّ الذي يجب أن يعيش المرء لأجله، ويضحّي لأجله بالنّفس والمال والولد.

٢- سوسيولوجيا الأمل:

أوّل مَن لفت الأنظار إليها: هو المفكّر الفرنسيّ (هنري ديروش/ ١٩١٤- ١٩٩٤م)، وحاول من خلالها التّركيز على مدى ارتباط الجماعات الدينيّة (الإحيائيّة) على الرّغبة في تجاوز الحاضر، بكلّ مشاكله ومآسيه، والنّظر إلى المستقبل نظرة أكثر تفاؤلًا.

انبثقت هذه المقولة من تجربة الإصلاح الدينيّ؛ التي عرفتها أوروبا في القرنين السّادس والسابع عشر، فيما عرف بالحركة البروتستانتيّة.

تتجسّد هذه الحركة المقولة بشكل واضح في طريقة وأداء جماعة الإخوان، التي تقوم على إعطاء المنتمين إليها والمولعين برسالتها الأمل والرغبة في استعادة الماضي التليد، وتؤكّد الجماعة أنّ تحقّق هذا الأمل لن يأتي إلّا من خلال العمل في إطار جماعيّ، يحقّق مصلحة الأمّة .

ملاحظات عامّة:

في هذا السّياق؛ يمكن أن نورد بعض الملاحظات:

- من النّاحية العمريّة: لا توجد سنّ محدّدة لتجنيد أعضاء جدد داخل الجماعة، وإن كانت نسبة التّجنيد تظلّ أعلى في مراحل الصّغر، أو ما يطلق عليه البعض مرحلة (البراعم)، وكثيرًا ما يكون المسجد أولى الخطوات باتّجاه التّجنيد.
- ترتفع نسبة التّجنيد في المحافظات، تحديدًا في القرى والأرياف، عنها في المدن الكبيرة والحضر.
- يظلّ العامل الدينيّ يمثّل محدّدًا أساسيًّا في انضمام الأفراد للجماعة، وإن كانت ثمّة عوامل أخرى، اقتصاديّة واجتماعيّة، مثّلت حوافز إضافيّة للانضمام، على غرار ما ذكره لنا بعضهم بالرّغبة في الاستفادة من الغطاء الاقتصاديّ والاجتماعيّ الذي يوفّره التّنظيم.
- تمرّ أساليب التّجنيد وفنونه لدى جماعة الإخوان بثلاثة مراحل، تتّسم بعدد من الخصائص العامّة المشتركة، وتتمايز تبعًا لطبيعة كلّ مرحلة وظرفيّتها الزمانيّة؛ فهناك التي بدأت منذ نشأة الجماعة على يد مؤسّسها حسن البنا في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين، وانتهت بإعلان تحوّل الجماعة للعمل السياسيّ عام ١٩٣٨، وتأسيس نظامها الخاصّ، والثّانية؛ منذ ذلك التّاريخ حتّى النّكبة الأولى للجماعة عام ١٩٥٤، والمرحلة الثالثة: من العام ١٩٥٤ حتّى بداية ما أطلق عليه تأسيس الجماعة الثاني، منتصف سبعينيّات القرن الماضي، والرّابعة: من ذلك التّاريخ حتّى وصول الجماعة للسّلطة، بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر، وما تبع ذلك من تحوّلات في آليّة التّجنيد وشروطه، أمّا المرحلة الخامسة؛ فهي من ذلك التّاريخ الأخير حتّى وقت الانتهاء من الدّراسة، وهي التي شهدت تحوّلًا خطيرًا في أدبيّات التّجنيد وآليّاته داخل الجماعة، اقترب داخل أحد

جماعتها من مناهج التّجنيد داخل الجماعات الجهاديّة.

- تختلف أساليب التّجنيد من شخص لآخر، ومن مكان لآخر؛ فهناك أساليب تجنيد خاصّة بالطّلاب، خصوصًا في المرحلة الجامعيّة، وهناك أساليب تجنيد خاصّة بإخوان الرّيف والقرى، وأخرى خاصّة بتجنيد إخوان المدن والحضر.

- تنحدر الغالبيّة العظمى لقواعد الإخوان المسلمين من الطّبقة الوسطى، رغم وجودهم وانتشارهم في شتى أنحاء البلاد، كما يقلّ وجودهم التنظيميّ في الطّبقات الفقيرة، ويتجنّب المسؤولون عن التّجنيد التوسّع في ضمّ عناصر من الطّبقات الفقيرة، إلّا لحساب ميزات استثنائيّة تتمتّع بها هذه العناصر دون أن تكون هذه قاعدة معلنة، ويعدّ الانضمام إلى الجماعة أحد آليّات الصّعود الاجتماعيّ في الطّبقات الدّنيا؛ إذ تتيح لأعضائها فرصة التحقّق والصعود الاجتماعيّ، من خلال شبكة اجتماعيّة كبرى، وتساعد هذه الشّبكة في تأمين الحدّ الأدنى من الضّمان الاجتماعيّ للأعضاء، ومساعدة المتعاطفين والمؤيّدين والأنصار .

- أمّا عن آليّات التّجنيد؛ فتظلّ الدّعوة الفرديّة أهمّ الأدوات النّاجعة في استقطاب أعضاء جدد إلى الجماعة وتجنيدهم؛ بل تكاد تكون المموّل الحقيقيّ للعنصر البشريّ داخل الجماعة، وتنقسم إلى ثلاث دوائر رئيسة:

- دائرة الدّعوة الفرديّة: (٢-٣) أفراد.
- دائرة الرّبط العامّ: (١٠-١٥) فردًا.
- دائرة الانتشار: (٣٠-٤٠) فردًا.

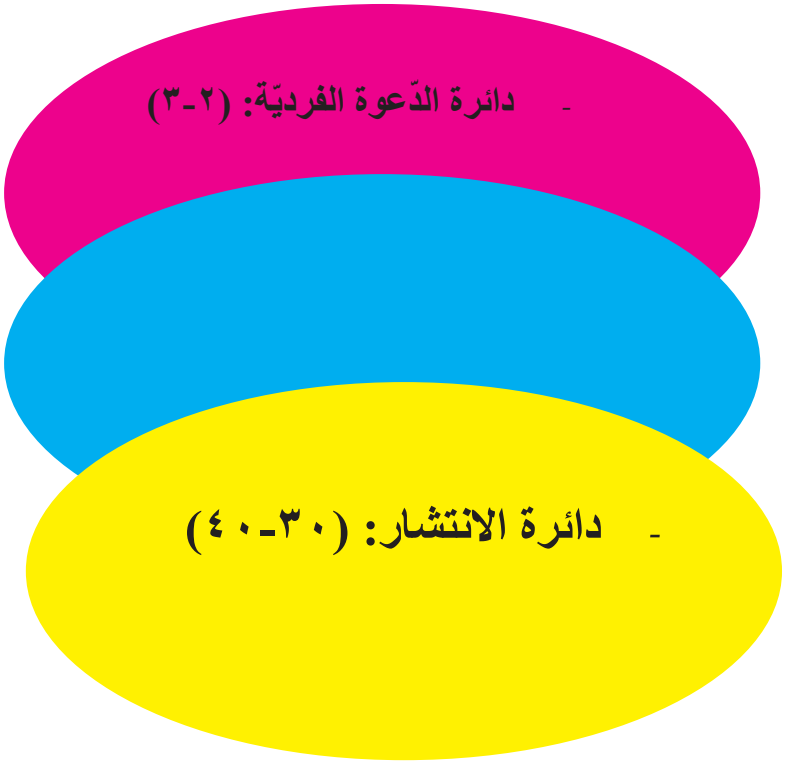

شكل (١) حول دوائر الاستقطاب

مصطلحات التّجنيد الإخوانيّ:

إنّ للجماعة معجمًا خاصًّا وقاموسًا داخليًّا، لا يطّلع عليه إلّا أبناء التّنظيم، من خلال معايشة طويلة، ويوضّح الجدول الآتي التّداول التنظيميّ المستخدَم من قبل أفراد الجماعة:

المصطلح	المعنى
إخوان الصّفّ	إخوان الجماعة
الرّبط العامّ	المتعاطفون مع الجماعة
الرّبط الخاصّ	الذين على وشك الانضمام للجماعة
الانتشار	مجال الدّعوة الواسعة
الدّعوة	جماعة الإخوان وتنظيمها
سهم الدّعوة	الاشتراك الشهريّ الذي يدفعه العضو
أخ	(العضو) في كلام الإخوان فلان أخ؛ أي عضو في التّنظيم، وفلان ليس أخًا؛ أي ليس عضوًا
أشبال	هم الأطفال وصغار السّنّ في الجماعة
أستاذ	إذا ذكر الإخوان كلمة (الأستاذ) مجرّدة من اسم يتبعها؛ فهي تعني المرشد العامّ.
إمام	(الإمام) مجرَّدة؛ يعنون بها مؤسّس الجماعة ومرشدها الأوّل حسن البنا، وإن كان يغلب على خطابهم استخدام تعبير "الإمام الشهيد".
مأثورات	مجموعة من الأدعية والأذكار النبويّة، جمعها حسن البنا في رسالة، وألزم الإخوان بتلاوتها بعد الفجر وقبيل الغروب.

الرّسائل	رسائل حسن البنا التي وضعها لأعضاء الجماعة، ويوليها قادة الجماعة وواضعو مناهجها عنايةً فائقةً واهتمامًا كبيراً.
تمكين	أن يكون التّنظيم في السّلطة ليحكم بالإسلام.
قسم التّربية	مسؤول عن وضع المناهج التربويّة، ودورات التّصعيد، وتقسيم الأفراد وفق مراتب العضوية.
تصعيد	كلمة يستخدمها الإخوان للتّعبير عن نقل عضو، أو مجموعة أعضاء، من مستوى عضوية معيَّن إلى المستوى الأعلى، التّالي مباشرة لما قبله.
تعزير	إحدى العقوبات المستخدمة داخل التّنظيم الإخوانيّ بحقّ مَن قصّر في تكليف أو تعليمات، وهى قريبة من فكرة "التكدير" داخل الجيوش؛ إذ لا تقتصر على التّعنيف الكلاميّ؛ بل تتعدّاه إلى عقوبات بدنيّة أو ماليّة.
الثقة	ركن من أركان البيعة التي وضعها حسن البنا للإخوان، ويعني الإخوان بهذه اللّفظة: ثقة الأفراد في قيادات التّنظيم ثقة مطلقة عمياء.
تناجي	التّناجي لفظة يصف بها الإخوان كلَّ نقاش نقديّ خارج الأطر التنظيميّة الرسميّة للجماعة.
عوام	كلّ شخص ليس عضوًا في التّنظيم، مهما بلغت ثقافته وعلمه.
خبث	كلمة يطلقها الإخوان على من ترك الجماعة، أو لم ينجحوا في تجنيده.
مسجد الضّرار	يطلق الإخوان هذا الوصف على كلّ مؤسّسة إسلاميّة مناوئة لهم، أو لا تحمل أفكارهم، أو عجزوا عن الهيمنة عليها.

الصّفّ	تنظيم الجماعة، وفلان ترك الصف؛ أي لم تعد له صلة بالتّنظيم، وسلامة الصفّ؛ أي سلامة التّنظيم.
نقيب	هو مسؤول الأسرة، ويغلب أن يكون من الإخوان العاملين، أو، على الأقلّ، ممّن مرّت عدّة سنوات على انتمائه إلى الجماعة.
كتيبة	إحدى وسائل التّربية الأساسيّة عند جماعة الإخوان، اسمها وفكرتها من وضع حسن البنا؛ وهي لقاء شهريّ، يقام في منزل أو مسجد، وتغلب عليه أجواء روحانيّة.
الجنديّة	حالة نفسيّة تجعل العضو يتقبّل العمل تحت قيادة أيّ مسؤول، مهما كانت قدراته الفكريّة والحركيّة ضئيلة.
معسكر	يغلب أن تكون مدّته ثلاثة أيام، قد تزيد، وقد تنقص إلى يومين، يتلقّى الأعضاء فيه جرعات مكثّفة من معاني السّمع والطّاعة والثّقة، ويمارسون الرّياضة، والأوامر في المعسكر تنفّذ دون أيّ نقاش، فشعار المعسكر هو: (كلّ وأنت شبعان، ونمْ وأنت يقظان).

شكل (٢) معجم مصطلحات الإخوان

(3) المنهج العامّ لجماعة الإخوان في التّجنيد:

تحتلّ الدّعوة الفرديّة مكانة خاصّة لدى تنظيم الإخوان؛ فهي المنهاج الأكثر نجاعة لدى التّنظيم، عكس الجماعات السلفيّة الدعويّة، التي تملك مقوّمات أكثر فاعليّة في الوصول إلى مستهدفيها، عبر الخطابات العامّة والاستنهاضيّة، بما تملكه من دعاة لديهم الفصاحة والبلاغة، فضلًا عن تركيزهم في مساحات الوعظ والإرشاد والعلوم الشرعيّة، التي ثبتت نجاعتها في كسب أتباع وأنصار ومتعاطفين من كافّة الشّرائح الاجتماعيّة، ومع أنّ الجماعة استخدمت نفس الخطابات العلنيّة، إلّا أنّ تلك الخطابات ظلّت وسيلة ومدخلًا لدخول دعاتهم إلى العوالم الخاصّة بالمستهدفين بالتّجنيد، وإغلاقها حينًا من الزّمن على كليهما، حتّى تشكّل

أفئدة هؤلاء ووجدانهم على الانتماء والولاء للجماعة، لتأبى، بعد ذلك، الانصياع للتّيارات الدينيّة، أو العلمانيّة أو الفكريّة الأخرى.

المرحلة الأولى: التّعارف[1]

هو إيجاد الصّلة والتّعارف بمن يراد دعوته وإشعاره، عمليًّا، بالاهتمام به، والسّؤال عنه إذا غاب، وغير ذلك، دون الحديث في أيّ أمر من أمور الدّعوة، حتّى ينفتح قلبه ويتهيّأ لاستيعاب ما يُقال له، وبقدر ما تنال هذه المرحلة من اهتمام وعاطفة يكون تجاوب المدعوّ، فيستجيب إلى ما يُدعا إليه، وأيّ حديث معه قبل ذلك، ربّما يكون سببًا في نفوره وصدوده، ويمكن أن تستغرق هذه المرحلة بعض الأسابيع.

المرحلة الثّانية: إيقاظ الإيمان المخدّر:

إيقاظ الإيمان المخدّر في نفس المدعو، ولا يكون الحديث حول قضيّة الإيمان مباشرًا، لكن يأتي طبيعيًّا كأنّه دون قصد، بانتهاز فرصة رؤية طائر، أو نبتة، أو حشرة، أو أيّ مخلوق من خلق الله، ويتحدّث معه عن قدرة الله وإبداعه وعظمته في هذا الخلق، ويوضّح، مثلًا، كيف ينبت هذا النّبات من طين وماء، ويختلف في السّاق والأوراق، والأزهار، والثّمار، والألوان، والرّائحة، والطعم، مع أنّ كلّ النّباتات تُسقى بماء واحد، ومن طين واحدة {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} {هَٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ}.

هكذا، بمثل هذا الحوار، وتكراره، والتفكّر في خلق الله، سيستيقظ القلب من غفلته، ويتهيّأ لاستكمال قضيّة الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب وجزاء، وكذا التّعرف إلى المهمّة التي خلقنا الله من أجلها في هذه الحياة الدنيا؛ وهي عبادة الله، يقول المرشد الخامس لجماعة الإخوان مصطفى مشهور: هكذا يستمر الحوار حول قضايا الإيمان، وعندما تستيقظ هذه القضايا، سيبدأ الفرد في مراجعة نفسه، ويشعر بأنّه لو بقي على حاله من الإهمال والتّقصير والغفلة، وإقباله على معصية الله، وعدم طاعته؛ فإنّه سيتعرّض إلى عذاب الله يوم القيامة، ولا مفرَّ ولا مُنقذ له، وحينئذ تسلس قيادته، ويسهل توجيهه إلى ما يُدعا إليه من التزام تعاليم الإسلام.

نموذج تطبيقيّ[2]

بعد انتهاء المرحلة الأولى «التعارف»؛ ينتقل المجنِّد بالمستهدف لمرحلة جديدة، فيقول «المربّي» له: أنت مؤمن، لكنّ هذا الإيمان مخدَّر بداخلك، وهذا الدّين هو دين مستهدَف، خضع لمؤامرات على مسار التّاريخ، ثمّ يستحضر كلّ المشاهد؛ بدءًا من خبيب بن عدي حتّى سيد قطب وأكرم زهيري[3]، وكلّ شخص أوذِيَ من أجل دينه، وتصبح مسيرة الجماعة هي مسيرة هذا الإسلام المضطهد، بحيث تُلحق الجماعة بالخط الزمنيّ لمسيرة الإسلام ملحَقًا، لتصبح الامتداد الطبيعيّ لمسيرة الإسلام على الأرض، وليس لمسيرة فصيل فهم الإسلام بطريقة معيّنة، ومضى في طريقة.

يتذكّر محمد سعد، وهو إخواني بدرجة منتظم، أنّ أوّل تأثّر له بالإخوان كان عام ٩٠، وكان طفلًا يبلغ عشر سنوات؛ حيث جمعت الجماعة عددًا كبيرًا من أبناء القرية في بيت أحد الإخوة، وعرضوا شريط فيديو بعنوان (الوعد)، يحكي عن مآسي تعرّض لها الفلسطينيون على يد قوات الاحتلال الصهيونيّ، ودور حركة المقاومة الإسلاميّة «حماس» في صدّ العدوان، وانتفاضة الحجارة، واصطحب الصورة أصوات

1 مشهور مصطفى، الدعوة الفرديّة، نسخة إلكترونيّة، ص 5.

2- قمنا باستطلاع آراء عدد من جماعة الإخوان المسلمين، وعدد آخر من المنشقين عنها، رفض غالبيتهم الكشف عن أسمائهم، بينما قبل عدد آخر.

3- أكرم عبد العزيز بدوي أبو العينين زهيري (24 فبراير 1963 - 8 يونيو 2004)؛ أحد ناشطي الإخوان المسلمين بمدينة الإسكندرية، قُبض عليه ضمن 58 من الإخوان يوم 2004/5/15؛ وقالت الجماعة إنّه توفّى بعد تركه بلا دواء ولا علاج قرابة عشرة أيام، بعد إصابته أثناء ترحيلة في سيارة غير ملائمة.

منشدين شاميّين، فتأثّرنا جميعًا وبكينا، وزاد حبّنا لهذا الدّين، وارتباطنا بالجماعة، كونها هي الأمل الوحيد في عودة الاسلام، ورفع رايته خفّاقة فوق المسجد الأقصى، الأمر الذي كان يحدث بعد ذلك كلّ مناسبة مأساوية، مثل: حرب البوسنة والهرسك، وقبلها أفغانستان والشيشان وكوسوفا.

تشكّل عقليّة العنصر المستهدَف بتركيب عاطفيّ بحت، يحاول فيه «المجنِّد» شحذ وجدان «المستهدَف»، ولهبه، حتى يزرع فيه حبّ التّنظيم، ويؤمن به على أساس أنّه يمثّل درع الأمّة والسّبيل الوحيد لنصرتها، عندما تقف على أرجلها من جديد.

يقول أحمد بان، وهو خبير في شئون الجماعات، كان له صلة وثيقة بالجماعة في ما مضى: الأكثريّة في جماعة الإخوان تنتمي إلى الجماعة انتماءً عاطفيًّا فقط، وهذا المعنى هو ما قاله عصام العريان، القياديّ الإخوانيّ، «إنّ النّاس ينتمون إلينا بالعاطفة فقط، وهم غير مدركين إلى أين هم ذاهبون».

يضيف: هذا أمر دقيق وعميق فـــ١٠٪ فقط مادة العمل داخل الصفّ الإخوانيّ، و٢٪ يخرجون عن طاعة التنظيم، و٨٪ يظلّون قانعين بأن يخوضوا معركتهم داخل الصفّ الإخوانيّ، و٩٠٪ مسلّمون للقيادة ويثقون بها ثقة عمياء؛ لإيمانهم أنّها تدبّر لنّصرة هذا الدّين، ولنصرة «المشروع»؛ لذا مُنحت الثّقة بموجب بيعة شرعيّة.

يقول «بان»: التّنظيم لا يحاول أن يزرع في وجدان وعقل الأعضاء سوى ركني الطّاعة والثّقة في القيادة، ويغضّ التّنظيم الطّرف عن باقي الأركان، منها الفهم، ولا يستدعي سوى مفردات الثّقة والطّاعة، مع أنّه لا ثقة ولا طاعة دون فهم[٤].

المرحلة الثالثة: المعاونة:

يقول مصطفى مشهور: تبدأ هذه المرحلة بالمعاونة في تدارك حاله، بالتّعرف إلى طاعة الله والعبادات المفروضة، وممارستها، والانتظام فيها، والابتعاد عن المعاصي والتّحلي بالأخلاق الإسلاميّة[٥]، ويفضّل تزويده بما يقرؤه من الكتب الميسَّرة في العقيدة والعبادة والأخلاق، ويُدعى إلى حضور بعض الدّروس والمواعظ، ويتعرَّف إلى أهل الخير والصّلاح، ويُصرف عن أهل السّوء، هكذا يهيَّأ له المناخ الذي يساعده على استكمال شخصيّته الإسلاميّة.

ويلزم الصّبر حتّى ترسخ قدمه في هذا الطّريق، ولا يترك مدّة طويلة دون تعهّد ومعاونة، كي يواصل السّير في الطّريق، ويتجنّب عوامل الفتور أو الكسل أو التّفريط، وقد يستغرق ذلك عدّة أسابيع، أو بعض الأشهر، حتّى تستقرّ شخصيّته الإسلاميّة دون اهتزاز.

ويستطرد: هنا نقول: إنّ هناك نوعيّات كثيرة موجودة فعلًا على هذه الصّورة، ويمكن البدء بها في المرحلة الرّابعة الآتية، لكن بعد تحقيق المرحلة الأولى، وهي إيجاد صلة وعلاقة طيّبة تهيّء لمواصلة الحوار والقيام بواجب الدّعوة[٦].

المرحلة الرّابعة: الشموليّة:

هي توضيح المعنى الشموليّ للعبادة، وعدم قصرِه على الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ، ليشمل كلَّ مناحي الحياة؛ من طعامٍ وشرابٍ، ولباسٍ، وعلمٍ، وعملٍ، وزواجٍ، ورياضةٍ، ورعايةٍ للأبناء، إلى آخر كلّ هذه الأمور، وذلك بشرطَين:

4- لقاء للباحث صلاح الدين حسن مع أحمد بان.

5 مشهور مصطفى، الدّعوة الفرديّة، نسخة إلكترونيّة، ص 10.

6- المصدر السّابق.

الأوّل: النيّة: أن نقصد بهذه الأمور الاستعانة بها على طاعة الله، وتحقيق مراد الله في الاستخلاف في الأرض.

الثّاني: المطابقة، وهي موافقة هذه الأعمال لشرع الله- سبحانه وتعالى- وتعاليم الإسلام، فلا نأكل إلّا حلالًا، ولا نشرب إلّا حلالًا، وفي هذه المرحلة ينضبط الفرد المسلم في حياته وحركاته وسكناته، وتبقى هناك حالة «تعايش» بين خطابات وممارسات متباينة؛ بل ومتناقضة، ويساعد على هذا التّعايش ما عرفت به الجماعة تاريخيًّا من التزامٍ عامٍّ فضفاضٍ، يقوم على قاعدة: «إنّ جماعة الإخوان يسعها ما يسع الإسلام»[٧].

نموذج تطبيقيّ:

يحكي القيادي السّابق في جماعة الإخوان، السّيد عبد السّتّار المليجي، عن بداية التحاقه بالجماعة قائلًا: في العشرين من عمري؛ بدأت أبحث عن الحرية والعدالة والمساواة، ليس لنفسي، لكن لكلّ الذين أعرفهم، ولكلّ المجتمع الذي أنتمي إليه، ووجدتُ في سوق الحياة مجموعات كثيرة تقول إنّها تقدّم هذه الأشياء النّادرة؛ الحريّة والعدالة والمساواة، تفرّستُ في الوجوه طويلًا، ثم اخترت هذه المجموعة، سألتهم: من أنتم؟ قالوا: نحن الإخوان المسلمون، وقبل أن أسمّي ما أبحث عنه، قالوا: عندنا كلّ شيء؛ تحبّ العدل .. عندنا، تحبّ السّياسة .. عندنا، تحبّ الجهاد ... عندنا، تحبّ الشّغل وفقط .. عندنا، تحبّ الحريّة... عندنا، «تحبّ الكباب والكفتة والمهلبيّة.. عندنا، ولو عايز تستفيد وتفيد ابقى عندنا وارفع لافتتنا..»، كانت العروض التي انهالت على سمعي تأتي من جهات عدّة وأفواه عدّة، ونحن، أحيانًا، نمشي على الماء، نحن- إذن- أولياء الله الصّالحون، اللّافتات مسطر بها كلّ أحلامي.. المسلمون قادمون.. دولة الخلافة قادمة[٨].

المرحلة الخامسة: ضرورة العمل الجماعيّ:

يوضَّح فيها للمستهدَف: أنّ الدّين لا يريد منّا أن نكون مسلمين في ذواتنا كأفراد فقط، نؤدّي العبادات، ونتحلّى بالأخلاق الحسنة، ولا نؤذي أحدًا ولا شيء غير ذلك؛ بل إنّ إسلامنا دين جماعيّ، إنّه نظام حياة وحكم وتشريع ودولة وجهاد وأمّة واحدة، وهذا الفهم الصّحيح للإسلام يملي مسؤوليّات، يقول «مشهور» في هذه النّقطة: لا يمكن أن يعيش المسلم إسلامًا صحيحًا كاملًا منعزلًا عن إخوانه المسلمين، غير متأثّر بما يحدث لهم، ما يتعرّضون له من ضربات وأحداث وفتن على يد أعداء الله، في أجزاء متفرّقة من العالم الإسلاميّ (من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم، وحول هذه المعاني يستمرّ الحوار مع المدعو، حتّى يتولّد عنده الشّعور بالمسؤوليّة العامّة نحو الإسلام والمسلمين، ويخرج من عزلته، وبعد ذلك؛ يوضّح له ما تمليه هذه المرحلة التي تعيشها الدعوة الإسلاميّة على المسلمين من واجب العمل على إقامة الدّولة الإسلاميّة، وإعادة الخلافة الإسلاميّة، وهكذا يستمرّ الحوار حول إيقاظ الشعور بهذه المسؤوليّة، بصورة تدفعه إلى التّفكير الجادّ في كيفيّة أدائها والقيام بمتطلّباتها[٩].

المرحلة السّادسة: الجماعة المختارة:

في هذه المرحلة؛ يُشدَّد على أنّ هذا الواجب لا يمكن أن يتم فرديًّا؛ فكلّ فرد وحده لا يستطيع أن يقيم دولة الإسلام ويعيد الخلافة، لكن لا بدّ من الجماعة التي تجمع هذه الجهود الفرديّة، لتستعين بها على تحقيق هذا الواجب الضّخم، والقاعدة الشّرعية المعروفة: أنّه ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب، فما دام واجب إقامة الدولة الإسلاميّة لا يتمّ إلّا بالجماعة، فقيام الجماعة واجب.

7- تمام حسام، تحوّلات الإخوان المسلمين.. تفكك الأيدلوجيا ونهاية التّنظيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطّبعة الثانية، ص 8.

8- المليجي عبد السّتار، تجربتي مع الإخوان، الزّهراء للإعلام العربي، الطّبعة الأولى، ص 25.

9- مشهور مصطفى، الدّعوة الفرديّة، نسخة إلكترونيّة، ص 6.

يوضّح مشهور بقوله: هذه الخطوة أساسيّة، فكثير من المسلمين لا يرون ضرورة قيام الجماعة، أو الارتباط بجماعة؛ خشية الالتزام بتكاليف، أو إيثارًا للعافية، أو دفعًا للأذى الذي يمكن أن يتعرّض له بسبّب ارتباطه بجماعة، وبقدر توضيح عظم المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم نحو الإسلام، وأنّ القيام بهذه المسؤولية لا يتمّ إلّا من خلال الجماعة، يكون الاقتناع بضرورة الجماعة مهمّا كلّفهم ذلك، خاصّة، بعد توضيح الخير العظيم المترتّب على ذلك[10].

المرحلة السّابعة: الطّريق إلى جماعة الإخوان:

تأتي، بعد ذلك، المرحلة السّابعة- وهي: الإجابة عن السّؤال الذى يفرض نفسه: مع أيّة جماعة يعمل؟ وهذه المرحلة مهمّة ودقيقة، وتحتاج إلى حكمة، وقوّة إيضاح وإقناع؛ ففي السّاحة جماعات متعدّدة ومتحرّكة، وتدعو الشباب إلى الانتماء إليها، وكلّها تحمل لافتة الإسلام، ولكلّ جماعة شعاراتها ووسائلها التي تجذب بها الشّباب.

يقول «مشهور»: المفروض أن يفهم كلّ شاب مسلم؛ أنّ قضيّة العمل للإسلام قضيّة مصيريّة أساسيّة، وعليه أن يُحسن اختيار الطّريق الذي يسير فيه ويطمئنّ إلى سلامته، وألّا يندفع أو يتسرّع في اختيار الجماعة التي يعمل معها لتحقيق مبادئ الإسلام؛ إذ ليس له غير عمر واحد ونفس واحدة؛ فلا يخاطر بهما، لكن يسترشد ويستوثق ويبذل الوقت والجهد في التبيّن، والاطمئنان، أفضل من أن يختار طريقًا غير سويّ، يندفع فيه من غير تبيّن[11].

يختم تلك المرحلة بقوله: حقّق رسول الله ﷺ قوّة العقيدة، ثمّ قوّة الوحدة، ثمّ قوّة السّاعد والسّلاح؛ إذ عندما تتكوّن القاعدة المؤمنة الصّلبة المتماسكة، تستطيع أن تواجه أعداء الله، وتردّ الاعتداء عليها بالقوّة.

إذن؛ فالجماعة التي تسير على نفس الطّريق جديرة بالعمل معها، وأيّة جماعة لا تقدّم جانب التّربية والإعداد على الوحدة والتّرابط، وعلى استعمال القوّة؛ فهي جماعة تقامر بعملها هذا وتضرّ بالعمل الإسلاميّ، فمحاولة الوصول للحكم بطريق القوّة دون التّربية والوحدة، أو بطريقة الأحزاب السياسيّة دون التّربية، مخاطرة؛ بل إجهاض للعمل الإسلاميّ، قبل أن ينمو نموًّا طبيعيًّا على قاعدة صلبة، ولا يتحقّق له استقرار ولا استمرار؛ إذ لا بدّ من قاعدة صلبة ترتضي هذا الحكم الإسلاميّ، وتحميه، وتدافع عنه، ولا تسمح لغيره أن يستقرّ عليها، وهكذا؛ فالبناء يبدأ من الأساس وليس من القمّة، وكلّما كان البناء ضخمًا احتاج إلى أساس عريض وعميق، والبناء المنشود هو دولة إسلاميّة عالميّة؛ لأنّ دعوتنا عالميّة، وأعداءنا عالميّين كذلك، والزّمن في هذا المجال يقاس بعمر الدّعوات والأمم، لا بعمر الأفراد، كما يلزم أن تكون الجماعة منظّمة مترابطة تسير بخطّة ليست مفكّكة، ولا تتحرّك ارتجاليًّا دون خطّة ولا تنظيم، كما يجب توضيح خطأ الفرقة وخطرها، وتوزيع الجهود في تجمّعات صغيرة، فالأصل أن من يريد أن يعمل للإسلام أن يضمّ صوته وجهده للجماعة التي تمثّلت فيها الصّفات السّابقة، ولا يجوز له أن يرفع راية جديدة، ولا أن يسير وراء جماعة حديثة التجربة، وذلك حتى لا يساعد في تشتيت الجهود، ولا يجوز له مفاصلة هذه الجماعة الكبيرة ذات التجربة، إلّا إذا وجدها، في مجموعها، على الفسق أو الضّلال[12].

يصل مشهور إلى هذه النّتيجة: هكذا بهذا التّوضيح المفصّل في هذه المرحلة، يظهر لكلّ صادق مخلص؛ أنّ الصّفات اللّازمة في الجماعة التي يختارها، متوفّرة في جماعة الإخوان المسلمين بفضل الله تعالى وتوفيقه»[13].

10- المصدر السّابق، ص 7.

11- المصدر السّابق، ص 8.

12- المصدر السّابق، ص 9.

13- المصدر السّابق، ص 10.

المرحلة الثّامنة: جماعة المسلمين أم مَن المسلمون؟

يؤمن الإخوان إيمانًا راسخًا بالتّنظيم، ليس بكونه وسيلة ضروريّة توصلهم إلى أهدافهم؛ بل باعتباره مطلوبًا لذاته، فالتّنظيم جزء رئيس من الفكرة الإخوانيّة؛ بل هو الفكرة الإخوانيّة في حقيقتها؛ حيث تمتلئ مناهج الجماعة وكتبها، بكلّ ما يرسخ في نفوس الأعضاء من أهميّة التّنظيم، ووجوب الانضمام له، والحفاظ على وحدته، والطّاعة لقيادته، ومقاومة أعدائه[١٤].

يدّرس الإخوان في دورات تصعيد الأفراد، من مستوى المؤيّد إلى مستوى المنتسِب، وجوب العمل الجماعيّ من خلال التّنظيم، ثمّ يستعرضون الجماعات العاملة على السّاحة، ليخلصوا إلى أنّ الإخوان هي جماعة الحقّ، وأنّ الانضمام لتنظيمها واجب، يأثم من لا يلتزم به.[15]

كان حسن البنا أوّل من أسّس لقداسة التّنظيم، حين جعل الارتباط بالجماعة مشروطًا ببيعة وقسم يؤدّيه العضو، ليصبح بعدها ملكًا للجماعة، يبذل وقته وماله لأجلها؛ بل ويدفع روحه لنصرة لوائها، ثم جاء سيّد قطب، وأعطى أهمية كبيرة لفكرة التّنظيم، وضخّم من شأنها في نفوس أتباعه، وأكّد على ضرورة قيام «طليعة البعث الإسلاميّ» لتعيد الأمة الإسلاميّة التي يرى قطب أنّ وجودها انمحى من فوق الأرض.

أكّد البنا مرارًا على ضرورة الانتماء لتنظيمه، والانخراط في صفوف جماعته، وعدّ أنّ الإخوان حازوا كلّ مميزات الجماعات والدّعوات، فقال في رسالة «دعوتنا»: «الإخوان دعوة عامّة محيطة، لا تغادر جزءًا صالحًا من أيّة دعوة إلّا ألمّت به وأشارت إليه»[١٦].

كما أنّ البنّا قسّم النّاس إلى أربعة أقسام، بحسب موقفهم من الانتماء لتنظيمه، ووصف من قبل الانضمام إلى جماعته بأنّه «مؤمن»، وألقى على من لم يحسم موقفه من عضويّة الإخوان صفة «متردّد»، واختار لقب «نفعي» لمن أعرض عن جماعته بسبب عدم انتفاعه منها، وأمّا مَن أدار ظهره للإخوان، ورفض الانضمام لتنظيمهم؛ فهو، في نظره «متحامل» ينظر للإخوان بمنظار أسود، ولا يرى الخير الذى تحمله الجماعة.

ثمّ تضافرت مناهج الإخوان على أهميّة الانضمام للجماعة، والانخراط في تنظيمها؛ فنجد القياديّ الإخوانيّ فتحي يكن، أمير فرع الجماعة الإسلاميّة في لبنان، يقول في كتابه: «ماذا يعني انتمائي إلى الإسلام؟»: إنّ الانتماء إلى الحركة الإسلاميّة انتماء لهذا الدّين، وامتثال لأمر الله، وطمع في رحمته ورضاه.[17]

أمّا القياديّ السوريّ سعيد حوى؛ فيقول في كتابه «المدخل إلى جماعة الإخوان»: لا بدّ للمسلم من الارتباط بجماعة منظمة، ولا بدّ من أن يكون التّنظيم صالحًا، ومن تأمّل وجد أنّ الإخوان هم الذين فطنوا لهذا الطّريق وساروا فيه[١٨]. ويستدلّ حوى على وجوب الانتماء للتّنظيم بقول الله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النّساء: (٥٩)].

14 أبو زيد، هيثم، مقال بعنوان «الجندية والبيعة وقداسة المرشد»، منشور على موقع الشروق المصريّة، رابط:
http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=12022014&id=6712e112c858-874f-4fc3-b139-2fbc8a62

15- المصدر السّابق.

16- المصدر السّابق.

17- من اللافت أن يكن ألف كتابًا سمّاه «المتساقطون على طريق الدّعوة»، ثمّ ترك الجماعة آخر حياته، ومات بعيدًا عن عضويّة التّنظيم، فأصبح، وفق معياره وكتابه، من المتساقطين على الطّريق.

18- المصدر السّابق.

يضيف حوّى في نفس الكتاب: لا بدّ من أن يكون التّنظيم العقل المفكّر والمحرّك للمسلمين، وعلى المسلمين أن يوالوا بعضهم البعض، والولاء الكامل لا يتحقّق إلّا ضمن جماعة».[19]

نموذج تطبيقيّ:

لا يدّعي الإخوان، مباشرة، أنّهم جماعة المسلمين، إلّا أنّ ما يستبطنه الضّمير الجمعيّ للجماعة؛ هي أنّها «جماعة المسلمين»، وإن ادّعى أنّه يقول عكس ذلك، فيلقّن المستهدَف خلاصة تقوده إلى أنّ الإخوان هم من يفهمون الإسلام على حقيقته، وأنّهم الممثّلون الحصريّون لدين الله في الأرض، وأنّه ما من أحد يعمل لهذا الدّين سواهم، كما يعملون له، وأنهم أدقّ النّاس فهمًا لمعاني الإسلام ومراميه، وهناك جذران ينهض بهما «الأخ» لفهم الدّعوة الإسلاميّة؛ كتاب «الطّريق لجماعة المسلمين»، و«ماذا يعني انتمائي للإسلام؟»، و«ماذا يعني انتمائي للحركة الإسلاميّة؟»، هذا هو الأساس الذي يخضع له «تكوين» الأخ المستهدَف، منذ أن يلج بقدميه أوّل عتبات التّنظيم.

عندما مررنا على عدد من المنشقّين عن الجماعة، أكّد جلهم أنّه بعد بداية دخولهم التكوين الفكريّ، وانتهاء مرحلة التّعارف، ومرحلة إيقاظ الإيمان المخدّر في الصّدور، من خلال تعويدهم على مجموعة من العبادات، ثمّ تعليمهم أنّ هناك مؤامرة على هذا الدّين؛ فإنّ التّوجيه الذي يلي ذلك: هو أنّ هذه المؤامرة تستلزم عملًا جماعيًّا، وأنّ هناك جماعات كثيرة تعمل على السّاحة، فأيّة جماعة سيكون لها ولائهم؛ لذا يُشرَح للمستهدَف طرائق العمل الجماعيّ التي تدّعي الصّلة بالمنهج الإسلاميّ، فيقال له: إنّ هناك سلفيّين؛ وهم يهتمّون بالعبادات والطّقوس والمظاهر على حساب الجوهر، وهناك الصوفيّين؛ وهم منسحبون، وهناك الجهاديّون الذين يحملون السّلاح، وهناك الإخوان الذين يجمعون كلّ هذا الجماعات الشاملة؛ فهي الهيئة الجامعة، وهي الخصائص التي تحدّث عنها «البنا».

الدّأب، وأخذ الأمر بجدّ، والمتابعة، والمراجعة على فترات؛ للاطمئنان على الاستمرار وعلى حسن الأداء والإنتاج.

الذين يقومون بالدّعوة الفرديّة يحسن توجيههم وترشيدهم حول الأسلوب والمعاني وتسلسلها.

يمكن معاونتهم في عملهم في صورة لقاءات لمن يدعونهم يقدّم فيها زاد وتوضيح وترسيخ للمعاني.

المراحل السّبعة المذكورة بالدّعوة الفرديّة يجب أن تتحقّق وتستقرّ في نفس من يدعو الواحدة تلو الأخرى؛ لأنّ مخالفة هذا التّرتيب قد يكون سببًا في رفض المدعوّ لما تدعوه إليه، فقد روعي أنّ كلّ مرحلة تترتّب على أهميّة التي قبلها والاقتناع بها، فمثلًا؛ إذا دعي لأن يكون في جماعة دون الاقتناع بالمسؤوليّة العامّة، التي توجب الجماعة فلن يستجيب وهكذا.

لا يصحّ أن تكون الرّغبة في الوصول بالفرد المدعوّ إلى المرحلة الأخيرة سببًا في السّرعة والتعجّل، للوصول دون إتقان واطمئنان كامل لكلّ مرحلة، منعًا للانتكاس إذا تعرّض للتّشكيك.

يستحسن أن يتمّ حوار حول المراحل السّبعة، وما تحتاجه من أدلّة أو أسباب تعين على

19- شهادة بعنوان (رحلتي إلى كهف الإخوان) لهيثم أبو زيد، جريدة الشروق المصريّة.
http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=12022014&id=6712e112c858-874f-4fc3-b139-2fbc8a62

الإقناع بها، تيسيرًا لهذه المهمّة مع من سيقومون بها.

يلزم مع تزكية طريق الدّعوة السّليم بكلّ متطلباته؛ القيام- أيضًا- بدحض الشّبهات المثارة حول العمل الإسلاميّ ومتطلباته والقائمين عليه، حتى لا يكون هناك آثار للتّشكيك في نفسه.

يلزم إبراز الخير الكبير والفوز العظيم الذي يحوزه من يجيب داعي الله، وكذا الخطر العظيم لمن لا يستجيبون؛ ففي أسلوب التّرغيب والتّرهيب عون على تأثر المدعوّ بما يُقال له.

على الدّاعين إلى الله أن يتعاونوا ويسترشدوا ببعضهم، فيما يعترضهم من عقبات، وكيف يتخطونها، والإفادة من تجارب بعضهم في هذا المجال.

يمكن الاستعانة أثناء المراحل بالكتب والرّسائل والمجلّات، فتُعطى للمدعوّين، ويطلب منهم أن يسألوا عن المبهَم عليهم فيها، لتوضيحه لهم.

تكون البركة بقدر الصّبر، والإخلاص، والدّأب، وسعة الصّدر، ويكون التّوفيق بإذن الله.

الدّعوة الفرديّة تتمّ في كلّ الظّروف والأحوال، بخلاف الدّعوة العامّة التي تتعرّض للتّضييق أحيانًا.

شكل (٣) توصيات خاصّة بالدّعوة الفرديّة

المرحلة التّاسعة: تربية العضو المستقطَب.

وضعت الجماعة مناهج خاصّة بالتّربية على العضويّة، وذلك لتكملة أيّ نقص قد يرد على المناهج في المناهج العامّة؛ فبعد أن تتأكّد الجماعة من استقطاب الأفراد إلى الحلقات العامّة والخاصّة، تبدأ في إجراء عمليّات انتقاء دقيقة لعناصر تصلح للانضمام إلى الجماعة، وتربيتهم على العضويّة داخل الجماعة[٢٠].

في دراسته الرّائدة عن مناهج التّربية وتطبيقاتها لدى جماعة الإخوان المسلمين، يقدّم أحمد ربيع خلف الله أشكال التربية المختلفة، التي يمكن إيجازها فيما يأتي:

1- مناهج التّربية في مرحلة الطّفولة: تنقسم إلى تربية روحيّة؛ تشمل العبادات (طهارة – وضوء- صلاة – صوم)، والقصص؛ تشمل سيرة الرسول ﷺ، وتراجم لأشهر الصّحابة، وقصص الأنبياء، وقصّة انتشار الإسلام، والغزوات الإسلاميّة، فضلًا عن الأناشيد التي تحمل شعار الجماعة، وتقوية الرّوح الدينيّة لدى الأطفال، كما كان يتمّ تدريب الأطفال على أداء بعض التّمارين الرياضيّة.

2- مناهج التّربية في مرحلة الشّباب وما بعدها: تنقسم إلى مناهج عامّة ومناهج خاصّة، أمّا المناهج العامّة؛ فهي المرحلة التمهيديّة للالتحاق بالجماعة لإعطاء صفة العضويّة، والمناهج الخاصّة؛ تختصّ بتربية كوادر الجماعة، وتشمل مناهج العضويّة بمختلف درجاتها (المحبّ، المنتظم، العامل)، ويتمّ التركيز فيها على المفاهيم التربويّة والتنظيميّة، وكيفيّة المساهمة في أنشطة الجماعة بشكل يعود على التنظيم بالفائدة، وتوجد لجان للتّربية في مختلف المستويات الإدارية، ومهمّتها: تحديد المحتوى الموضوعيّ للمناهج التربويّة، ومتابعة تنفيذه.

3- مناهج التّربية للجماعة بعد ٢٠٠٥:

منذ فوزها في الانتخابات البرلمانيّة ٢٠٠٥؛ شرعت الجماعة في إعادة تقييم الأوضاع داخلها، من حيث

20- أحمد ربيع عبدالحميد، الفكر التربويّ وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان، القاهرة، مكتبة وهبة، الطّبعة الأولى، 1984م، ص 194.

مستوى الأعضاء، خصوصًا في القواعد، ومستوى القيادات في المستويات المختلفة، كما وضعت مناهج جديدة للتّربية الدّينية والسياسيّة.

مصادر رئيسة، هي: القرآن والسنّة (قراءة وتفسيرًا وحفظًا)، رسائل الإمام البنّا، الأصول العشرون للإمام البنا.

مصادر مكمّلة: هي بعض الكتب التي يُنصح بالرجوع إليها، وتختلف من شخص إلى آخر، ويمكن أن نذكر منها، على سبيل المثال:

- فتحي يكن، كتاب «ماذا يعني انتمائي للإسلام؟».
- د. علي محمد الصّلابي «السّيرة النبويّة».
- منير الغضبان «المنهج الحركيّ للسّيرة النبويّة».
- محمد أحمد الراشد «أصول الفقة والاجتهاد»، «سلسلة إحياء فقه الدّعوة»، «صناعة الحياة».
- بعض كتب الدكتور يوسف القرضاوي.
- بعض كتب الدكتور محمد سليم العوا.
- كتابات الأستاذ فهمي هويدي.

*دورات خاصّة بالنّقباء:

استُحدثت، قبل أحداث الخامس والعشرين من يناير في مصر، لجنة للتّربية والتّدريب على مهارات القيادة (لجنة الموارد البشريّة)، وكان يُعقد اجتماع لهذه اللّجنة كلّ أسبوعين، يطلق عليه (لقاء التربية)، وذلك بالتّناوب مع لقاء الشّعبة لمتابعة أحوال اللّجان؛ حيث تقوم الجماعة، حاليًّا، بإعطاء دورات خاصّة بالنّقباء على مستوى الأسر، وذلك لتدريبهم على كيفيّة إدارة الأسر، وتربيتهم حسبما تقتضي أهداف الجماعة، وتعقد اجتماعاتها كلّ أسبوعين، ويتمّ خلالها تدريس كتاب «المدخل في التّربية من المعرفة إلى السّلوك»: وهي دراسة ماجستير للباحث الأردنيّ زياد إبراهيم عدنان، وهي تركّز على ثلاث نقاط رئيسة:

- بناء الذّات الإخوانيّة: يقصد بها كيفيّة بناء شخصيّة الطّالب الإخوانيّ، من خلال الالتزام بالمعايير والسّلوكيات التي قال بها مؤسّس الجماعة الإمام حسن البنا، وذلك من خلال شرحٍ وافٍ للأصول العشرين، كما تحضّ على تربية النّفس على الجهاد والتّضحية والطّاعة والثّبات.
- تنمية مهارات القيادة: من خلال التّربية على مبادئ الولاء والقدوة والالتزام، وتنمية الثّقة في نفوس الأعضاء، والتّأكيد على أهميّة الجماعة للأسرة وللمجتمع وللأمّة بأسرها.
- تنمية القدرة على التّخطيط وإدارة العمل الدعويّ والسياسيّ: وهي مجموعة إرشادات تساعد النّقباء على خطط للأسر، وتكليف الأعضاء بمهامّ محدّدة لخدمة أهداف الجماعة، وهذه الدّورة تسمّى

«دورة مناهج النّقباء»[٢١].

(4) المنهج غير المعلَن للتّجنيد:

(أ) اصطياد الرّواحل النجيبة:

يطلب الإخوان من «الأخ» البحث في الدّوائر المحيطة به عن العناصر المستهدَفة بالتّجنيد في الجماعة، ثمّ يضعها في قائمة يلخّص فيها معلومات تتعلّق به، وما تنطوي عليه من ميّزات وعيوب، وبعد ذلك يكلَّف بالحديث مع النّقيب «المسؤول» في صفات هذا المدعوّ[٢٢]، وهذا التّكليف تضع له الجماعة بعض الضوابط والشّروط، فتكون حريصة على توجيه «المدعوّ» إلى نوعيّة من يختار للدّعوة الفرديّة، فتشترط عليه أن يختار الأقرب لدائرته حتّى يكون التّواصل معه أيسر، ويكون إضافة حقيقيّة للجماعة، وليس خصمًا من رصيدها، وهناك مثال شهير يسود في أدبيّات الجماعة، توصي به أعضائها، وهي (لا تتعامل مع الجماعة على أنّها مستشفى تقدّم العلاج لمرضى؛ بل كما يتعامل الجواهرجي الذي يتعامل مع اللآلئ)[٢٣]، وتتمثّل بمقولة عمر بن الخطّاب: «النّاس كأبل مائة لا تجد فيها راحلة، فعلى «الأخ» أن يبحث عن «الرواحل» النّجيبة التي تتحمّل السّفر الطّويل والأثقال، فإذا كان «المستهدَف» طالبًا، فمن الأفضل أن يكون نجيبًا[٢٤]؛ أي من أبناء العائلات المحترمة، والتنظيم يعطي أولويّة في التّجنيد للموسر ماديًّا؛ لأنّه سيعطي سهمًا من دخله الشهريّ للتنظيم، فضلاً عن إنفاقه الخارج عن السّهم؛ لذا تفضّل الأسر الغنيّة على الأسر الفقيرة.

يقول أحمد بان: «إنّ حسن البنا كان عندما ينزل قرية يبحث فيها عن وجاهات القوم ليضمّهم لجماعته، وعند تكوين شعبة في هذه القرية، يسند مسؤوليّتها إلى عليّة القوم فيها، وكان هذا أمرًا متعارفًا عليه في الثلاثينيّات والأربعينيّات من القرن الماضي»[٢٥].

(ب) السّيطرة على المجنَّد نفسيًا وترويضه:

يصف أحمد بان المناهج التجنيديّة بقوله: «إنّها أقرب للعلوم النفسيّة منها للعلوم الشرعيّة؛ لأنّ «المجنِّدين» بكسر النون، يعدّون أنفسهم يتعاملون مع نفوس بهدف ترويضها، والولوج فيها للسيطرة الكاملة عليها لتجنيدها؛ فالأخ يجند هؤلاء الأفراد كي يكونوا جنودًا عند هذا التّنظيم»[٢٦].

ويقول أحد المنشقّين عن الجماعة: «يبدأ الاتّصال بالفرد بعد مرحلة التّعارف، ونسعى لصداقته، ونتقرّب منه جدًّا لنقترّب من عالمه النفسيّ، فنعرف ما يحبّ وما يكره، ويستشهد بحسن البنا، مؤسّس الجماعة، أنّه كان كلّما يريد أن يدعو شخصًا، يعرف ما يحبّ هذا الشّخص وما يكره، فإذا كان محبًّا للكلاب يذهب البنا ليقرأ عن الكلاب كي يشاركه اهتماماته، وليقترب منه أكثر، ويكون ذلك مدخله له، ويضرب مثالاً

21- يتمّ خلال هذه الدّورة الاطّلاع على المراجع الآتية:
- محمد عبد المعطي «زاد السّائرين في شرح أحاديث مختارة من كتاب رياض الصّالحين».
- د.محمد عبد الرحمن «المذاهب والملل».
- ماجد بن يحيى العويسان «طرق التدريس الحديثة بين النظرية والتطبيق».
- د. علي محمد الصلابي «الدّولة العثمانيّة؛ عوامل النهوض وأسباب السقوط».
- د. علي محمد الصلابي «السّيرة النّبوية ... عرض وقائع وتحليل أحداث».
- حسام حميدة «إرشاد المجتمع فريضة شرعيّة وضرورة اجتماعية».

22- راجع قاموس المصطلحات في التنظيم أعلاه.

23- على لسان أحد أعضاء الجماعة (رفض الكشف عن اسمه).

24- على لسان أحد أعضاء الجماعة الحاليين (رفض الكشف عن اسمه).

25- مقتطفات من حوار مع الباحث في شؤون الجماعات أحمد بان.

26- المصدر السّابق.

توضيحيًّا آخر يردّده الإخوان كثيرًا لأفرادهم المنوط بهم «عمليّات التّجنيد»: لو كان المستهدَف يعشق جمع الطّوابع، فالمفترض أن تكون أنت خبيرًا في جمع الطّوابع، وإذا كان خبيرًا في كرة القدم، فمن المفترض أن تكون خبيرًا في ذلك، فهذا هو مدخلك كي تقترب من عالمه النفسيّ»[٢٧].

بعد مرحلة التعرّف إلى المحيط الاجتماعيّ؛ يذهب الدّاعية المجنِّد إلى النّقيب المسؤول، كي يجيب عن عدّة أسئلة تتعلّق بالعنصر المستهدَف، وغالبًا ما يقدّم تقريرًا عنه، يتناول فيه سيرته الشّخصية، ومحيطه الأسريّ، وهواياته، وتحليلًا لشخصيّته، وما إذا كان مجادلًا، ودرجة تديّنه، ومشاكله الجنسيّة، وعلاقاته العاطفيّة[٢٨].

(ج) الكتمان وعدم الجدال:

عن الصّفات التي يمكن أن يُستبعد من أجلها «المستهدَف بالتّجنيد» من قبل «النّقيب المسؤول»: أن يوصف بأنّه «غير كتوم» ولا يؤتمن على الأسرار، وأن يكون ثرثارًا، لو وجد أنّه ليس لديه كتمان في هذه المرحلة؛ لأنّ السريّة منهج عند جماعة الإخوان «أمّا عن المجادِل، فيمكن أن يُقبل في البداية، لكن إن وجد أنّ الجدال خُلق أصيل فيه، فيمكن الاستمرار في ضمّه، على أن يبقى جزءًا من دوائر التّنظيم العامّة، وهي ما يطبَّق عليه الرّبط العامّ»[٢٩].

(د) السريّة:

تؤصّل مناهج الإخوان لأهميّة السريّة، وتفرد لها مساحات واسعة، وكعادة الجماعة دائمًا، تزعم كتب المناهج أنّ السريّة اقتداء بالرّسول ﷺ الذي عرفت دعوته في مكّة مرحلتَين: الأولى: سريّة الدّعوة وسريّة التّنظيم، والثّانية: علنيّة الدّعوة مع استمرار سريّة التّنظيم.

يقول فتحي يكن في كتابه «ماذا يعني انتمائي للإسلام؟»: «لا يجوز أن تكشف الحركة كلّ ما عندها من مخطّطات وتنظيمات، فليس في ذلك مصلحة على الإطلاق؛ بل إنّ ذلك يعدّ جهلًا بالإسلام، وتعريضًا للحركة وأفرادها لمكر الأعداء»[٣٠].

أمّا السوريّ منير الغضبان، مؤلّف كتاب «المنهج الحركيّ»، فيتحدّث عن أهميّة السريّة، ويلحّ عليها في مواضع كثيرة من كتابه؛ فيقول في الصّفحة رقم ٥٠: «لا بدّ من المحافظة على سريّة التّنظيم، واختيار مركز سرّي للتجمّع بعيدًا عن الأعين، يلتقي فيه الجنود مع بعضهم، ويلتقون بقياداتهم»[٣١].

ويقول في صفحة ١١٦: «على الحركة الإسلاميّة ألّا تظهِر كلّ أوراقها، اعتمادًا على وجود مناخ ديمقراطيّ، وعليها أن تبقي رصيدًا من أشخاصها وتنظيمها، وحركاتها، ومراكزها سرًّا، حتّى لا تباد لو فكّرت الجاهليّة بالانقضاض عليها»، ولعلّ هذه الأسطر تلقي ضوءًا على مسألة «الخلايا النّائمة» التي شاع استخدامها أخيرًا، للإشارة إلى رجال الإخوان السرّيين في مختلف المواقع»[٣٢].

وفي فقرة كاشفة لأساليب الإخوان وأساليب تعاملهم مع قوى المجتمع، يقول المؤلّف: «لا شيء أقوى للحركة الإسلاميّة من أن تتعامل مع حلفائها وأعدائها ببلاهة ظاهريّة، بحيث تعرف مخطّطاتهم،

27- المصدر السّابق.

28- المصدر السّابق.

29- المصدر السّابق.

30- يكن فتحي، «ماذا يعني انتمائي للإسلام؟» ، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 71.

31- الغضبان منير، المنهج الحركيّ للسّيرة النبويّة، مكتبة المنار، الأردن، ص 50.

32- المصدر السّابق، ص 116.

وتتظاهر بجهلها لهذه المخطّطات»[٣٣]، ويضيف: «كما لا بدّ من أن يكون للحركة رجالها في صفوف العدوّ المحالِف»، ومن اللّافت هنا؛ أنّ المؤلّف يؤكّد على «البلاهة الظاهريّة» حتّى مع الحلفاء وأصدقاء الجماعة.

أمّا عن أهميّة وجود جهاز معلوماتيّ سرّي للجماعة، فيقول: «لقد ظهرت أهميّة هذه القضيّة مع تجربة الحركة الإسلاميّة مع أعدائها، فضعف المخابرات لديها أدّى إلى اشتعال معركة راح ضحيّتها عشرات الألوف، نتيجة المعلومات الخاطئة التي وصلت للمجاهدين»[٣٤].

(هـ) إبعاده عن الاجتهادات الفقهيّة:

يوصي «النقيب المسؤول» عن صرف «المجنَّد المستهدَف» أن يُبعد عن مناطق الخلافات الفقهيّة؛ فالتنظيم ليس له مذهب فقهيّ بعينه، ويكتفي بنصيحته بشراء كتاب فقه السنّة وقراءته فقط، أو إهدائه ذلك الكتاب؛ لأنّه مبنيّ على تجميع كلّ المذاهب الفقهيّة، ولا يكون ابن مذهب فقهيّ بعينه؛ لأنّ المستهدَف سيحكم بالأفكار الذي تتبنّاها، وأيّ شيء على مذهبه الفقهيّ، والمذهب سيكون عائقًا أمام التّنظيم، وهو لا يريد ذلك، يريده عجينة طيّعة فقهيًّا.

(و) إبعاده عن العناصر الأمنيّة:

بعد مضي مدّة، يحاول «المجنِّد» التقرّب من «المستهدَف» أكثر؛ فيتعرّف إلى محيطه الاجتماعيّ، فمن الممكن أن يكون أحد إخوة هذا الشّخص، أو أحد أقاربه، ينتمي إلى أحد الأجهزة الأمنيّة، أو الهيئات الحسّاسة التي يخشى التّنظيم وقوع الضّرر منها.

يقول «متولي»، وهو أحد نقباء الأسر الإخوانيّة: يخضع هذا الأخ لمنهج الدعوة الفرديّة الذي يبدأ بمرحلة التّعارف، كما تحوي أساليب محدّدة تعدّ مداخل مدروسة ومجرَّبة للوصول للشّخص المستهدَف بالدعوة[٣٥].

(ز) إبهاره بالقيادات:

يستخدم الإخوان ما يُطلق عليه داخل التنظيم «التربية الإبهاريّة»؛ وهو منهج يدرَّس لتعليم الإخوانيّ كيف يجعل من المدعوّ شخصًا منبهرًا به طيلة الوقت، بما أنّه القياديّ الربّانيّ، وكلما كان المربّي ناجحًا في الإبهار، وُصِف داخل التّنظيم بالمربّي النّاجح.

بعد ٢٠٠٥؛ بدأ أساتذة التّربية في التّنظيم يضعون فلسفة جديدة، أمّا قبلها؛ فكان الأمر متعلّقًا بتركيبة الشّخص المربّي الذي يتم استنساخه في شكل الأفراد الذين يضمّهم إلى الدّعوة، ثمّ الأجيال التي تأتي بعد ذلك؛ ففي الشرقيّة، مثلًا، تأثّر أعضاءٌ من الإخوان بمصطفى مشهور، وفي الإسكندرية تأثّروا بعباس السيسي، وفي الغربية بـلاشين أبو شنب»[٣٦].

كما يحظر التّنظيم على الدّاعية أن يفتح عالمه النفسيّ للمجنّد، فلا يعطيه إلّا ما يجعله يحبّه وينبهر به أكثر، ويقدّره أكثر؛ فالدّاعية يجب أن يتمكّن من نفس المدعو، بحيث يصبح مرجعًا له في كلّ شيء في حياته، يرجع له في كلّ أحواله، وحتّى هذا الوقت لا يحدّث الأخ المجنِّد العنصر المستهدف في الإسلام أو الدعوة، إلّا بقدر ما يسمح به الحوار العاديّ، حتّى تتحوّل العلاقة إلى (الحالة المغلقة)؛ التي ينتقل معه المجنِّد فيها

33- المصدر السّابق.

34- المصدر السّابق.

35- لقاء للباحث مع أحد أعضاء جماعة الإخوان (رتبته التنظيميّة غير معروفة).

36 ملخّص من خلال لقاءات مع عدد من أعضاء الإخوان الحاليّين والسّابقين.

إلى المرحلة الآتية[٣٧].

(و) تفويض القائد (السّمع والطّاعة):

من خلال زرع الثّقة في نفسيّة المستهدَف بمنهج فكريّ معيّن، يُهيَّأ لفكرة «تفويض القائد»، لاتّخاذ القرار، وفي التّدبير لأمور الجماعة، وتسود مقولات «لديّ ثقة أنّ لديه من المعطيات ما ليس لديّ»، أو «الرّؤية لدى القائد أدقّ، وقراره صائب»، و»من موجبات العمل الجماعيّ أن يكون هناك قيادة، ومن موجبات هذه القيادة أن تحظى بالثّقة، وهذا العمل سيهدم لو أنّ كلّ فرد يفكّر ويدبّر ويقرّر لنفسه، بمعزل عن الجماعة، ونحن في مواجهة التدبير الجماعيّ لحرب الدّين، نحن في حاجة إلى تدبير جماعة في مواجهة هذه الحرب»[٣٨].

تساق مقولات دينيّة في هذا الصّدد، مثل مقولة: «إنّه لا إسلام إلّا بإمارة ولا إمارة إلّا بالطّاعة، ولا طاعة إلّا بجماعة»، والآية الكريمة: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ}، إضافة إلى حشد من الآيات تسقط على الجماعة، ويتّسع نطاق النصّ ليتمّ تطويره في المساحة التي يريدها التّنظيم لخدمته، وهو أمر حاضر في الجماعة على امتداد تاريخها، فعندما نقرأ في نصوص «البنا»؛ نجد استشهادات قرآنيّة في غير موضعها، ويتّسع مفهوم النصّ كي يلائم ما ذهب إليه من مفهوم، ورويدًا رويدًا، تتحوّل التّبعية للإسلام إلى تبعيّة للتّنظيم، بعدّه ولاءً لله، وأداة فكرة التّمكين للدّين، والدّولة مجرّد وعاء لهذا التّمكين، فيمضى المستهدَف مع هذا التنظيم، منذ بداية إدراكه أنّ هذا الدّين هو المستهدَف، حتّى تنبت الأفكار الجذريّة التي تحطّ في ذهن المدعوّ، وتشكّل أفكاره ووجدانه»[٣٩].

(ع) الإحاطة الاجتماعيّة والتآلف الماديّ:

«الأخ» الذي مرّ بشروط الدعوة الفرديّة، وأصبح في رتبة «محبّ»، يحضر في لقاء المحبّين، وهو لقاء مفتوح مغلق ليس فيه قدر من الانضباط والصرامة التنظيمية الكبيرة، فله الحضور من عدمه، مع تخفيف جرعته من المحتوى التربويّ، ولا يُلام عندما يتأخّر في تنفيذ تكليف؛ بل يقابل بالابتسامة والاستيعاب، لأنّه في مرحلة ارتباطه ليس لديه ما يسمّى تمام السّمع والطّاعة، حتّى يتهيّأ استيعابه النفسيّ، ولا تتركه الجماعة، في هذا الوقت، في أتراحه وأفراحه، حتّى تشعره بما سمّي بـ «العزوة».

يقول أحد أفراد الجماعة عن الإحاطة الاجتماعيّة: عندما يلقاك عدد ضخم من النّاس من ذوي الوجوه المتوضّئة، فلا شكّ في أنّك ستشعر بشيء من الحيثيّة، وهذه قيمة الانتماء للجماعة[٤٠].

ويعلّق منشقّ آخر على هذه الحالة بقوله: شعور طبيعيّ أن يشعر العضو بأنّه ينتمي إلى عصبة، فكثيرًا من النّاس ارتباطها بالفكرة يظلّ في مساحة الارتباط العشائريّ والحزبيّ[٤١].

(ت) توظيف المجنَّدين:

من له قدرة على التّجنيد والتّعبئة داخل الصفّ يمنح الفرصة لتصعيده من قبل النّقيب، الذي من أهمّ أدواره؛ تسويد جداول تسمّى بـ»ورد المحاسبة»، من خلالها تعرف حيثيّة كلّ أخ حسب مجهوده وإمكانيّاته، فإذا كان ممّن له قدرة على تجنيد أعضاء جدد؛ فهو، بلا شكّ، قياديّ يرتقي تراتبيًّا في التنظيميّة.

---

37 نقاش للباحثين مع أحد المنشقّين عن الجماعة (رفض الكشف عن اسمه).

38- المصدر السّابق.

39- المصدر السّابق.

40- المصدر السّابق.

41- المصدر السّابق.

تسود داخل التّنظيم ثقافة اللّوم، إذا لم يكن لدى الأخ قدرة على تجنيد أعضاء جدد، ويجلد معنويًّا لأنّه ليس لديه «دعوة فرديّة»، ويوصَف بأنّه مقصّر ليس فقط تجاه الجماعة؛ بل تجاه الدّين نفسه، ويذكر في هذا السّياق حديث عن إخراج النّاس من الكفر إلى الإسلام: {لأن يهدي الله بكَ رجلًا خير لك من حمر النّعم}، لينسحب من معنى إخراج النّاس من الكفر إلى الإسلام، إلى معنىً آخر؛ هو إخراجهم من جاهليّة عدم الانضمام إلى الجماعة إلى أن ينضمّ إليها، كي يكون رجلًا مهتديًا[٤٢].

يبدأ الدّعاة في التّسويق لخطاب استنهاضيّ للمجنَّدين الجدد، فيقولون لهم: إنّ الله ساق إليكم الخير بالانتماء إلى هذه الجماعة المباركة، فيجب أن تسعوا إلى أن تدفع هذا الخير إلى الآخرين، كما دفع إليك، فعلينا التّمكين للدّعوة في نفوس المدعوّين، ومع زيادة الأعضاء تزداد فرص التّمكين للمشروع الإسلاميّ[٤٣].

(ث) البيعة السريّة:

مع الإيحاء بأنّها سريّة، يشعر «الأخ المبايع» بأنّ هذا الأمر له عظمته وجلاله، فيظلّ يتذكّر هذا اليوم، ويذكّر به من قبل إخوانه[٤٤]، وهذه من الأساليب التي عدّها البعض ماسونيّة، أو فيه ظلٌّ من الماسونيّة؛ لأنّنا نتحدّث عن الحضارة، فالإنسان يتأثّر بكلّ شيء حوله، وإخفاء البيعة عن بعض الأفراد خوفًا من إثارة الشّبهات، ومن هنا يتحوّل التنظيم إلى العسكريّة، فالسّمع والطّاعة مقدَّمان على الفهم والتّدبير والتّفكير، أمّا الثّقة فيجب أن تكون كاملة.

(خ) التّرقية:

هناك وسيلتان للتّرقية واختيار القيادات:

الأولى: «لجان التّربية»: هي عين القيادة على الأعضاء، والثّاني: الانتخابات الدّاخلية؛ فالفرد في التنظيم يملك حظوظ الترقي من خلال تقييم الأشخاص من قبل لجنة التّربية؛ فمن مسؤول شعبة، مثلًا، إلى أخٍ عاملٍ دون ذلك، لا يصلح حتّى ولو كان مفكّرًا أو منتِجًا فكريًّا[٤٥].

كان أحد شيوخ الإخوان يقول: «اللي ما ينفع وش ينفع بطانة»، يقصد أنّ البطانة ليست ظاهرة، لكنّ الوجه ظاهر؛ فهناك من يصلح لأن يكون قياديًّا، وآخر لا يصلح، والقيادة هي التي تقرّر توظيف الأفراد حسب قدراتهم.

(ذ) المرحليّة في التّجنيد:

يتحدّث كتاب «المنهج الحركي للسّيرة النبويّة» للإخوانيّ السوريّ محمد منير الغضبان، عن المرحليّة كما يفهمها الإخوان، وببيان واضح لا يحتمل التّأويل الذي قد تتسبّب به لغة سيد قطب الأدبيّة؛ فكتاب «الغضبان»: هو أكثر كتب الجماعة اهتمامًا بفكرة المرحليّة، وتأصيلها في نفوس أفراد التّنظيم، واستخلاص شواهدها من العلوم الشرعيّة[٤٦].

الخطاب الذي تبنّته جماعة الإخوان المسلمين بهدف السّيطرة على الشّباب واستقطابهم إلى الجماعة،

42- من لقاء للباحثين مع أحد أعضاء الجماعة المنشقّين (رفض الكشف عن اسمه).

43- المصدر السّابق.

44- ذكر أحد أفراد الجماعة أنّه لطالما كان يذكر من قبل قادته بالتّنظيم في يوم بيعته، (باللغة الدارجة): «فاكر يوم البيعة وفاكر الفول السوداني يلي أكلته؟».

45- من نقاشات الباحثين مع أحد أعضاء الجماعة المنشقين.

46- يعدّ كتاب (المنهج الحركي للسيرة النبويّة) لمنير الغضبان؛ أحد أهمّ الكتب في فهم العقليّة الإخوانيّة في بناء عناصرها.

كان متباينًا ما بين خطاب دينيّ بحت، في مرحلتها الأولى (التّأسيس في الإسماعيلية)، اعتمد على القدرة على الخطابة واللّباقة التي امتاز بها حسن البنا، وبعد انتقال الجماعة إلى العمل السياسيّ، عام ١٩٣٨، تغيّر الخطاب ليتناسب مع أهداف الجماعة الجديدة في الوصول إلى الحكم، فتحوّل من الحديث عن عظمة الجنّة إلى الحديث عن عظمة الحضارة الإسلاميّة البائدة، وضرورة استعادتها، وضرورة تصدّر المسلمين مكانتهم التي يستحقّونها في العالم، كقائد لا تابع، وتغيّر خطابها مرّة أخرى عقب النّكسة ليلائم الحالة النفسيّة السّيئة للمصريّين آنذاك، ويوفّر لهم جوًّا روحانيًّا يمثّل مهربًا، وخلال الحقبة «السّاداتيّة» تغيّر خطابهم الاستقطابيّ، مرّة أخرى، بشيطنة «الشيوعيّة والاشتراكيّة»، وترهيب النّاس منها، وتصدير نفسهم بديلًا عنها، تحت شعار برّاق: «الإسلام هو الحلّ»، وهو الذي استمرّ خلال فترة حسني مبارك التي كانت الأنشط «استقطابيًّا»[٤٧].

(ض) قوّة الشّعار والمصطلح:

يقول إيريك هوفر: إنّ من أهمّ ما يجذب النّاس إلى الحركة الجماهيريّة؛ أنّها تقدّم بديلًا للأمل الفرديّ الخائب، وهذه الجاذبيّة ذات فاعليّة كبيرة في المجتمعات التي تؤمن بضرورة التطوّر؛ حيث يبدو الغد شيئًا مثيرًا، كما يصبح الإحباط أمرًا فظيعًا[٤٨].

ويقول القياديّ الإخوانيّ، أحمد عادل كمال: «كانت آمالنا لا حدود لها، فكنّا (نؤمِّل) كلّ شيء؛ نؤمن أنّ دعوتنا ستنتصر، وأنّنا سوف نهزم جميع أعدائنا، وخصومنا، وكلّ من تحدّثه نفسه أن يقف في سبيلنا المقدّس»[٤٩].

ويكمل كمال: «قرأ بعض الإخوان من جريدة يوميّة؛ أنّ طائرات الألمان شنّت غارة على لندن، وأنّها أصابت البرج الشّهير لساعة (بج بن)، وكان الشّيخ عبد اللطيف الشعشاعي جالسًا، وهو رجل ضرير من كرام الإخوان، فبان عليه الحزن الحقيقيّ والأسى، فعجبنا، وسأله سائل عمّا به، وعمّا يهمّه من أمر بج بن؟ فقال بلهجة الجدّ: (كنت أريد أن أؤذّن من فوق ذلك البرج يوم فتح لندن)، قلنا بمرح ودعابة: فأذِّن من فوق غيره، قال في إصرار: كنت أريد أن أؤذِّن من فوق هذا، ضحكنا، غير أن أعماقنا كانت تقول: ربّما، فمن يدري لعلّنا في يوم نفتح لندن»[٥٠].

وعن قصّة انضمامه إلى الجماعة، يروي: «لم أختلط بأقراني ومن هم في مثل سنّي، لكنّني انطويتُ في المنزل، أعكفُ على هوايات أستطيع مزاولتها بين الجدران؛ هويتُ جمع طوابع البريد وقطع العملة الأجنبيّة، والرّسم، ولعب الشّطرنج مع والدي وأخي الأصغر، وبقيتُ على هذا حتّى أخرجني عن هذه العزلة اتّصالي بجماعة الإخوان المسلمين، وإنّني لأعجب الآن كيف ينقلب فتى على تلك الصّورة بين عشية وضحاها، حتى يغشى ذلك المجتمع الصّاخب بكلّ ما فيه من نشاط؛ روحيّ وثقافيّ ورياضيّ وحركيّ، علنيّ وسريّ، فيسلك سبيله فيه قدمًا باندفاع شديد في جميع هذه النّواحي»[٥١].

وعن أوّل الخيط يقول: «وقفتُ أمام واجهة محلّ «الخواجة» المصوّر، أنظر إلى طوابع البريد التي كان يتاجر فيها، إلى جوار تجارته في الأفلام والصّور وآلات الموسيقا، وفاجأني الشّاب الواقف إلى جواري بقوله:

47- قواعد الاستقطاب الخمسة في التّجنيد، موقع البوابة نيوز عل الرّابط:
http://www.albawabhnews.com/1193802

48- هوفر، إيريك، كتاب «المؤمن الصّادق»، دار كلمة، ص 30.

49- كمال، أحمد عادل، كتاب «النّقط فوق الحروف»، الزّهراء للإعلام العربي، ص 51.

50- المصدر السّابق، ص 35.

51- المصدر السّابق.

- ألستَ القاطن في حدائق القبّة، بشارع قدسي؟
- بلى.
- هل تهوى جمع طوابع البريد؟
- نعم.
- وأنا كذلك!
- هل تحبّ أن ترى مجموعة طوابعي؟
- لا يهمّ.
- لكنّني أحبّ أن أرى مجموعتك. إنّني أسكن إلى جوارك، في نفس الشّارع».

يكمل: ضايقني أن يفرض إنسان نفسه عليّ كما فعل هذا، واستثقلتُه، لكنّه أمعن في الثّقل، وأصرّ أن يحملني خلفه على درّاجته إلى منزله ليريني مجموعة طوابعه، كما أصرّ، بعد ذلك، أن يحضر إلى منزلي ليشاهد مجموعة طوابعي.

يضيف: ذلك الذي استثقلتُه كان حسين محمد عبد السّميع، دكتور الاقتصاد الزراعيّ فيما بعد، ثمّ كان صديقي الأثير نحو سبع سنوات، نكاد لا نفترق. أباه هو محمد عبد السّميع الغنيمي، كان من الإخوان، وجاءت أحداث عام ١٩٤٢ المتّصلة بالحرب العالميّة الثّانية، وكنت في السّادسة عشرة، فاستخفّتني المظاهرة، فسرت معها إلى عابدين، وعثرت وسط الزّحام على حسين عبد السميع، فتشابكت يدانا حتّى انفضّت المظاهرة، وفي هذه المظاهرة طرفت أذني، لأوّل مرّة، هتافات (الله أكبر ولله الحمد، الله غايتنا، الرّسول زعيمنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله، أسمى أمانينا).

اتّجهنا، بعد ذلك، إلى بيت المرشد العامّ، قريبًا من دار المركز العامّ، ومضت أيّام، ثمّ زارني حسين في منزلي، ومعه خطاب لي من شعبة الظّاهر، يقولون: التقيتُ بهم وارتبطتُ معهم على هذه الفكرة، ثمّ غبت عنهم وقد شغلهم غيابي، فإذا لم أزرهم في وقت قريب، فسيكون من واجب لجنة الزيارات بالشّعبة أن تزورني للاطمئنان عليّ. راودتني نفسي أن أزور الشّعبة مرّة أخرى، حتّى لا يزورني أحد، فاتّفقت مع حسين على موعد نذهب فيه معًا إلى شعبة الظاهر بالسكاكيني، وكان حديث اللّيلة يدور حو ل الأمل والاطمئنان إلى نصر الله، وأنّنا لا نيأس من إعادة مجد الإسلام، مع سوء حال المسلمين وانصرافهم عن شريعتهم، وأن نرشد المسلمين إلى أنوار دينهم وأضواء إسلامهم ومنهل ربّهم، وأنّنا لسنا صغارًا كما قد نظنّ بأنفسنا؛ بل إنّنا كبارًا وكبارًا جدًّا، فمفتاح النّصر بأيدينا {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}، أدركتُ كلّ كلمة، فغاصت إلى أغوار قلبي وأعماق نفسي[٥٢].

ويكمل قائلًا: «قبل أن ننصرف من ذلك الدّرس الموفَّق، وزّعت علينا قصاصات من الورق، ليكتب كلّ منّا خواطره أو ما بدا له، أو أيّ اعتراض أو اقتراح أو استفهام، وليس بلازم أن يكتب اسمه، وأفهمونا أنّ ملاحظاتنا سوف تكون محلّ اهتمام واعتبار، وكنت قد أتعبني طول الجلوس على الحصيرة، أكثر من ساعة ونصف، وآلمتني الجلسة التي لم أعتدها، وكانت هذه خاطرتي التي سطرتها دون أن أوقّع باسمي، وبعد نحو من عام – وكنت قد صرت من صميم الإخوان- علمت أنّ هذه القصاصة قد نوقشت في مجلس إدارة الشّعبة، وانقسم المجلس بشأنها؛ فبعضهم رأى أنّ الجماعة لا تستجدي الهداية للنّاس، فمن شاء أن يحضر ويجلس على الحصير فبها، ومن آثر الحياة الدّنيا، فإنّ الجحيم هي المأوى! بينما رأى فريق أنّه يلزم، لانتشار الدّعوة،

52- المصدر السّابق.

اجتذاب النّاس بالحسنى والحكمة والقول الليّن؛ فإذا كان بعضهم يتعبه الجلوس على الأرض، فلا ضير من أن يجلس على الكراسي، وهي متوافرة في الشعبة. وفي اللّيالي التالية، جمع الإخوان بين الرّأيين، ففرشوا الحصر، ورصّوا الكراسي والدّكك من حولها»[٥٣].

(5) مراتب العضويّة وخريطة التحرّك:

قاعدة العمل العامّ التي يكلّف بها أعضاء الأسر، هي: استهداف المجتمع ككلّ، من خلال المشروعات العامّة، دائرة الرّبط العامّ، استهداف شخص تربطه علاقة بأحد أعضاء الصفّ (عائليّة – صداقة- دراسة)، والدعوة الفرديّة: (استهداف فرد ذي مواصفات خاصّة، ويميل ناحية الجماعة)، وقد اهتمّت الجماعة بالتّجنيد للأشبال والثّانوي وداخل الجامعات.

1- تجنيد الأشبال:

خطّة الإخوان للتّجنيد تبدأ من قسمي الأشبال والثّانوي؛ فهما المورد الرّئيس للعناصر المستجدّة داخل الجماعة.

تبدأ الخطة، من مشروع يسمّى «التّربية الإسلاميّة» الذي يُقام في المساجد الأهليّة، أو الأخرى التّابعة للجماعة؛ حيث يتمّ صبغ المشروع على أنّه يهدف إلى تحفيظ النّاس القرآن، ويتطوّر ليكون، في النّهاية، وسيلة للتّجنيد.

بجانب تحفيظ القرآن، تكون هناك المسابقات الدّينية والثّقافية، والأيام الرياضيّة، والرّحلات والحفلات، وأغلب هذه الرّحلات كان يتمّ أخذ تصاريح رسميّة لها من قبل بعض الجمعيّات المقرَّبة من الجماعة، مثل: الجمعيّة الشرعيّة وغيرها[٥٤].

في الحفلات التي تقيمها الجماعة؛ يتمّ تكريم الأوائل ومسؤول لجنة الطّلبة، يخضع له مسؤول قسم الأشبال والثّانوي، وفي حصص التقوية؛ يتم تقسيم الأولاد حسب المرحلة العمريّة، ويتولّى مسؤوليّة كلّ شريحة أحد قيادات الجماعة من العناصر الشبابيّة، وهو من ينتقي، فيما بعد، المتميّزين ويضع لهم برامج خاصّة، ويطوّر العلاقة معهم لتصبح علاقة اجتماعيّة متماسكة، وتحصر الجماعة، فيما بعد، المنتظمين في الحضور، من خلال لقاء أسبوعيّ، ومدى استجابتهم للأهداف وللجماعة فيما بعد.

يقوم الإخوان بعمل ما يسمّى (مشروع لجنة المدارس)، وقد بدأ الإخوان في هذا المشروع عام ٢٠٠٢، ذلك لاختراق المنظومة التعليميّة، وتم اختيار مسؤولي هذا المشروع بعناية شديدة، وهم من يحاسبون المسؤولين التنفيذيين المباشرين للمشروع، ولا يخضع هذا المشروع لمسؤولي الشّعب، إنّما يخضع لإشراف مسؤولي القطاعات.

ينحصر دور المشرف ومجموعة العمل بالمشروع، في استغلال كلّ الوسائل المتاحة لنشر الفكر الإخوانيّ، واستقطاب الأفراد الجدد، ودعم الأنشطة، مثل: الإذاعة المدرسيّة، والكتب، والمطويّات، مثل: كتاب الإذاعة المدرسيّة، من نشر دار التّوزيع الإسلاميّة[٥٥].

في فترة التسعينيّات؛ تولّى د. إبراهيم الزعفراني مسؤوليّة قسم الأشبال، وكتب عن تلك الفترة قائلًا: «كنّا نتابع العمل من خلال اجتماع نصف شهريّ، ثمّ شهريّ، بمسؤولي قسم الأشبال في مختلف المحافظات، في

53- المصدر السّابق.

54- عمرو فاروق، دولة الخلافة الإخوانيّة، دار كنوز، ص 12.

55- المصدر السّابق.

مقرّ مشترك للعضوين في مجلس الشّعب؛ الحاج حنفي فهيم، وسيف الإسلام حسن البنا، في السيدة زينب، يتبادل الحاضرون تقارير عن العمل خلال الفترة الماضية، ويعرض كلّ من لديه إنتاج جديد أو مشكلة على المجتمعِين لتبادل الخبرات، وكانت مجموعة متميّزة ومتفانية، قفزت بالقسم مسافات واسعة في فترة وجيزة، وكان معرض الكتاب الدوليّ فرصة لنتجوّل في المكتبات، لنطّلع على كلّ ما يخصّ الأطفال، وننتقي ونتناقش فيما هو جديد، وبعد أن استوى القسم على سوقه في كافّة المحافظات[٥٦]؛ أقرّت لجنة مسؤولي قسم الأشبال في عام ١٩٨٨ عمل معسكر صيفيّ بالإسكندرية على دفعات، كلّ دفعة تقضي خمسة أيام، وتتكوّن من أشبال خمسة محافظات، من كل محافظة عشرون شبلًا، للتّعارف والتّقارب بين أشبال الإخوان، وبثّ روح الانتماء والأخوّة، والتّواصل بينهم عبر المحافظات، وإشعارهم بأهميّتهم ودورهم المرتقَب في جماعتهم وأمّتهم ووطنهم، ووُضعت التّرتيبات، وتمّ استئجار عمارة على شاطئ سيدي كمال في منطقة المندرة من أ. محمد سردينة المحامي، ووضع البرنامج العامّ والجدول اليوميّ، وحدّدنا المشرفين المرافقين لكلّ فوج، وكان الأشبال يذهبون إلى البحر بعد الفجر، حتّى لا يختلطوا بمشاهد مخالفة لقيمهم ودينهم، ويعودون بعد الشروق بهذا العدد الكبير، مع صخب الأطفال وضجيجهم، ما كان يقلق الجيران. مرّت ثلاثة أفواج بسلام، وفي الفوج الرّابع: كان كلّ المشرفين من الإسكندرية، فذهبوا إلى المبيت في بيوتهم في إحدى الليالي، وتركوا مشرفًا واحدًا هو: أ. محمد سعيد، وفي حفلة السّمر على سطح العمارة في هذه الليلة قام الأشبال بعمل مشهد تمثيليّ، وكانت الهتافات حماسيّة، في ذات اللّحظة؛ حضرت الشّرطة بأمر من وزير الداخلية وقتها اللواء زكي بدر، بعد بلاغ من الجيران، فإذا بالأشبال يهتفون ويشيرون بعلامات النّصر، حتّى وهم يركبون سيارات التّرحيل التّابعة للشّرطة»[٥٧].

كما نفّذ الإخوان للمنظومة التّعليمية عن طريق مجالس الآباء، وهو المجلس الذي يتيح لهم العديد من الصلاحيّات، أهمّها: إعداد قاعدة بيانات تشمل أدقّ التّفاصيل عن الطّلاب والمعلّمين، ووظائف أولياء الأمور وعناوينهم، وقد أصدرت الجماعة فتوى بإجازة إنفاق أموال الزّكاة على هذا المشروع.

2- طلّاب الثانويّ والجامعيّ:

فكرة الإخوان: تكوين مجموعات من طلّاب الثانويّ والجامعيّ، المتميّزين والموهوبين والمتفوّقين، ذوي القدرات والكفاءات الخاصّة في المجالات المختلفة، وإشراف عدد مناسب من المشرفين عليهم بشكل مباشر، وفق برنامج تربويّ وعلميّ مدروس، يهدف إلى تنمية مهاراتهم وتدريبهم، وإعطائهم عناية ورعاية خاصّة، ثمّ الاكتشاف الكامل لطاقاتهم ومواهبهم، وتقسيمهم إلى مجموعات تخصّصية تعمل على تنمية قدراتهم في التّخصصات والمجالات المختلفة، ثمّ توجيه هذه الكفاءات واستثمار طاقاتها، وتوجيه طلّاب ثانويّ نحو الكليّات المناسبة لمواهبهم وقدراتهم، وتوجيه خريجي الجامعات إلى مواقع التّأثير في المجتمع.

وفق ما ورد في وثيقة لهذا المشروع؛ فإنّ إجراءات التّنفيذ هي:

١- الاهتمام والشّمول.

56- المصدر السّابق.

57- مقال لإبراهيم الزعفراني بعنوان (توليت قسم الأشبال) نشره موقع «إسلاميّون»:
http://www.islamion.com/news/%D8%AA%D8%AA%D9%88%D9%88%D8%AA%8A%84%D9%88%D9%8A%D8%A3%D8%B3%D9%85%82%D8%B3%D9%85-%D8%A9%8A%84%D9%88%D9%8A%D8%A6%D9%86%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D9%84%B4%D8%A8%D8%A7%D9%85%84%D9%82%D9%D8%A8%D9%86%D9%8A%85%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%D8%A7%D9%81%D%84%D8%B2%D8%B9%D9%D8%A7%D9%85%D9%8A%87%D9%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%8A%86%D9%8%B1%D8%A7%D9/

- يتمّ تنفيذ المشروع في كافّة المناطق والأقطار.. كلّ حسب طاقته وإمكانيّاته.
- يُعطى المشروع أولويّة قصوى للحركة الطلابيّة؛ فهو مشروع المستقبل.
- يتم تنفيذ المشروع في وحدات العمل كافّة؛ (المناطق، الثّانويات، الجامعات).
- تفرَّغ أعداد كافية للمشروع من المشرفين الأكفّاء، ويتمّ تدريبهم بشكل دائم.

٢- الإعداد الجيّد للمشروع:

- يتعاون الجميع في الإعداد الجيّد لهذا المشروع المهمّ؛ الاتّحاد الطلابيّ بأمانته العامّة وأقسامه ومناطقه، وجهاز التّربية وأقسام التربية في الأقطار، ولجان التّدريب في كافّة المستويات.
- يتمّ نشر القناعة بالمشروع والحماسة له في المستويات الإداريّة والقياديّة كافّة.
- يتمّ إعداد برنامج تدريبيّ متكامل في (اكتشاف الطاقات والكفاءات وتنميتها)، وتدرَّب عليه كافّة المستويات القيادية في المؤسّسة، لا سيّما القيادات الطّلابية والمشرفين عليها.
- يتمّ إدخال موضوع اكتشاف الطاقات والكفاءات، وتنميتها، وتوجيهها، واستثمارها في البرامج التّربوية الموجّهة إلى المستويات القياديّة كافّة.
- يتمّ وضع برنامج عامّ مدروس ومتكامل، تربويّ وثقافيّ وتدريبيّ، موجَّه إلى المجموعة المختارَة من الطّلاب، مع برنامج عمليّ مواكب للمحتوى النظريّ، ومعايير للتّقييم وقياس الأداء، إضافة إلى برنامج تدريبيّ، ودليل للمشرف موجه إلى المشرفين في المستقبل، ثمّ يتمّ وضع برامج تخصّصية في المجالات المختلفة المراد تنمية المواهب فيها.
- يتمّ وضع خطّة متكاملة للاستفادة القصوى من الطلاب المتخرّجين من طليعة المستقبل، وتوجيههم نحو مجالات تميّزهم[٥٨].

٢- الهيكل وتكوين المجموعات:

- يتمّ تكوين هيكل إداريّ لطليعة المستقبل، يتكوّن من لجنة مركزيّة ولجان فرعيّة في الوحدات المختلفة (المناطق، الثانويّات، الجامعات)، ويختار أعضاء اللّجان المشرفين على الطّلائع من العناصر المتميّزة الفعّالة النّشطة، ذات الكفاءات الثقافيّة والتربويّة والتدريبيّة العالية، والخبرات الجيّدة في العمل الطّلابي.
- يتمّ شرح الفكرة باستفاضة، ومناقشتها، وإيجاد القناعة التامّة والحماس لها، ثمّ تنفيذ البرنامج التدريبيّ الخاصّ بالمشرفين على طليعة المستقبل، والشرح الوافي لدليل المشرِف حتّى نطمئنّ على الإعداد الجيّد للمشرفين على المشروع.
- بالتّشاور مع القيادات التربويّة والطلابيّة في المدارس الثانويّة والكليّات والجامعات، يتمّ اختيار العناصر المتميّزة ذات الكفاءة، والمواهب المختلفة والمتفوقة دراسيًّا، وذات القدرات القياديّة الخاصّة، وغيرها، ويتمّ تجميعهم في مجموعات؛ يكون كلّ ثلاثين إلى أربعين طالبًا طليعة من طلائع المستقبل،

58- طليعة المستقبل؛ إعداد قيادات المستقبل، من إصدار اتّحاد المنظّمات الإسلاميّة، ص 116.

ويشرف على كلّ طليعة من أربعة إلى خمسة مشرفين يقسَّم الطلّاب عليهم[٥٩].

3- التّجنيد داخل الجامعات:

لا يزال التّجنيد الإخوانيّ داخل الجامعات يتمّ بالطّريقة المعروفة نفسها، وذلك من خلال استقطاب الطلّاب الجدد، وحثّهم على المشاركة في أنشطة الجماعة، عبر تقديم كافّة التسهيلات والخدمات الطلابيّة، وفي إطار عمليّة إعادة التّقييم التي جرت داخل الجماعة عقب فوزها في انتخابات ٢٠٠٥، كان لا بدّ من تطوير الأداء الطلابيّ للجماعة، بحيث يتناسب مع طبيعة المرحلة الجديدة التي تمرّ بها الجماعة على مستوى المجتمع ككلّ، وقد تمثّلت التّغييرات التي أدخلت في هذا الإطار فيما يأتي:

- استحداث لجنة سياسيّة في كلّ جامعة؛ تتكوّن من نحو خمسة أفراد، تمّ توزيعهم على النّحو الآتي:

* القيام بالتّنسيق مع القوى والتّيارات السياسيّة الأخرى في الجامعة، والوصول إلى توافق معهم في مسائل الانتخابات والتّظاهر.

* الاتّصال بمنظّمات حقوق الإنسان.

* عقد لقاءات سياسيّة تثقيفيّة، وتوزيع نشرات وبيانات.

* مكتب إعلاميّ.

* حضور النّدوات التي تنظّمها منظّمات المجتمع المدنيّ والأحزاب السياسيّة وغيرها.

الهيكل التنظيميّ لقطاع الجامعات المصريّة: مكتب الإرشاد، مكتب الطلّاب، مجلس الجامعة (يضمّ مختلف مسؤولي الكليّات)، مسؤول الكليّة ونائبه، مسؤول الدّفعة).

4- تجنيد الأخوات:

قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير؛ لم تكن للأخوات في الجماعة تراتبيّة تنظيميّة، سوى أنّها تلتحق بقسم عامّ يسمى «قسم الأخوات».

تبدأ المرأة، التي تخضع لنفس المنهج العامّ للجماعة في التّجنيد، بدراسة برنامج تربويّ يشمل بعض الكتب، مثل: رياض الجنّة، مع بعض كتب السّيرة؛ فالجماعة لم تكن ترغب في إدماجها تنظيميًّا، بشكل كامل، بسبب الحساسيّات الأمنيّة، وحتّى لا تتعرّض للاعتقال.

وكانت زوجة مسؤول الشعبة الإخوانيّة مسؤولة، بدورها، عن الأخوات في نفس الشّعبة، كما تقوم بدور المنسّقة مع الأخوات، بغضّ النّظر عن قدراتها التنظيميّة.

وبعد ثورة الخامس والعشرين من يناير؛ أعطت الجماعة دورًا للأخوات، وقامت بفصل قسمها إداريًّا في شبه تنظيم مستقلّ عن قيادة مكتب الإرشاد، وقاموا بإجراء انتخابات للأخوات، ومنحوهنّ التّراتيب التنظيميّة؛ بدءًا من منتسبة حتّى مجاهدة[٦٠].

59- المصدر السّابق.

60- تمّ التوصّل إلى تلك المعلومات من خلال التّواصل مع أحد المنتميات إلى جماعة الإخوان (رفضت الكشف عن شخصيّتها)، عبر شبكة التّواصل الاجتماعيّ «فيس بوك».

5- التّجنيد في التّنظيم الدوليّ:

كان الهدف من إنشاء التّنظيم العالميّ الدوليّ للجماعة: استثمار وجود العناصر الموجودة عالميًّا، كما ورد في وثائق حول إنشاء التّنظيم في الخليج العربيّ[٦١]، وعلى هذا؛ فإنّ المحاور التي يدور عليها عمل التّنظيم الدوليّ هي:

■ محور التّعريف بجماعة الإخوان، وتكليف مجموعات بطباعة كتب الجماعة وتوزيعها في موسم الحجّ، وإرسالها للأقطار المختلفة، وعمل المحاضرات هناك، وإقامة الرّحلات العامّة، والمخيّمات الموسميّة.

■ محور الانتقاء، واختيار آحاد من الشباب وتربيتها تربية (خاصّة)؛ لتكون طلائع التّنظيم، وركائز العمل المنظّم الحركيّ.

■ محور التّأصيل: وهو تأصيل خطّ الجماعة في السّاحة، والتّركيز على دعم اجتهادات قادة التّنظيم في بقيّة السّاحات والدّول المجاورة لمصر.

■ محور تحقيق علامة التّابع بالمتبوع، وجعل الأقاليم روافدًا للكنانة، تمدّها- عند الضّرورة- بما يحال بينها وبين مواصلة العمل، وتأخذ من مصر التّوجيه والإشراف.

ذكرت إحدى الوثائق أنّ الصفّ الأوّل الذي يدير التّنظيم الفلسطينيّ، تمّت تربيتهم في الكويت، وأنّ الجماعة نجحت في إيجاد نواة للعمل الحركي في البحرين، وقطر، وعمان (يطلقون عليها المناطق الشماليّة)، وفي جنوب الفلبين، وفي الإمارات، والسّنغال، وفي فولتا العليا، وفي ماليزيا، وفي موريشيوس، ونيجيريا، وموريتانيا، وتايلاند.

أكّدت الوثيقة أنّ هناك محورًا يسمّى «الشرقي» في السّعودية، وأشارت إلى وجود قيادات أخرى في الكويت وعمّان، وتحديدًا، مدينة الزرقاء (لاحظوا أنّ أبا مصعب الزرقاوي من نفس المدينة) وكذلك في صنعاء، وفي الجزائر العاصمة، وفي الصّحراء المغربيّة.

ركّزت الوثيقة على عمل جماعة الإخوان في صعيد مصر، وذُكر فيها أنّ الذين أسّسوا العمل الحركيّ كانوا الأوائل الذين تلقّوا تدريباتهم في «إربد» بالأردن بمعسكرات الجماعة، كما أشارت إلى معسكرات أفغانستان، موضحة أنّ عددهم كان ٤٧ عنصرًا، يخضعون لإشراف القاضي الأفغانيّ محمد أمين، والقائد حكمت يار، وكذلك سيّاف عقب خروجه من السّجن.

ردّ كاتبو الوثيقة على ضعف وضع الجماعة في عمان، وقالوا: إنّ وضعها يختلف عن بقيّة دول الخليج، وأنّ البناء التنظيميّ بها قليل للغاية، وأنّ الأخ أبو مصطفى، تلقّى تكليفًا بإدارة مجموعات الجماعة بعمان، عن طريق البحرين، واقترحوا: أن تتولّى مصر الإشراف على عمان بصورة مباشرة، عن طريق الدّكتور (اسم حركيّ)، وتحديد لقاء في أوروبا، وليكن في باريس، لترتيب مثل هذه الأمور.

ذكرت الوثيقة أنّ هناك دوائر تنظيميّة تمّ تشكيلها داخل مصر لغير أبناء وادي النّيل، سواء من آسيا أو إفريقيا، لا يعرفها سوى الأخ ليث (اسم حركي)، وهذا الأمر تمّ بالاتّفاق مع القنوات التنظيميّة، لمسؤوليهم في بلادهم، والمندوبين في مصر.

رشّحت الوثيقة عنصرًا يكون على رأس المشرفين على العمل الميداني، واستخراج رأي المشرفين على العمل من نفس أقاليمهم، ومدى مطابقة الموقع لمواصفات العنصر، مع إعطاء الخلفيّة الخاصّة بالعمل

61- وثائق خاصّة، وأوراق بحوزة الكاتبين، حول إنشاء التّنظيم العالميّ.

مع دراسة النواحي الأمنيّة قبل الشّروع في القبول[٦٢].

أرفقت الورقات مخطّطًا تنظيميًّا لطريقة العمل ما بين المناطق، سواء الشماليّة أو الجنوبيّة وغيرها، شملت كيفيّة الانتقال بين المناطق، وكيفيّة عمل مشرفي المجموعات والمنح التي تجري بين المناطق، ولعلّ هذه الوثيقة المهمّة تؤكّد ما أشرنا إليه من قبل؛ وهو أنّ جماعة الإخوان هي جماعة عسكريّة من البداية، ومهما تحوّلت وتحوّرت، فهي مرحلة، لتعود فيما بعد إلى سيرتها الأولى.

6- التّجنيد من داخل التّنظيم (الموازي والسرّي)

أوّلًا: التّجنيد في النّظام الخاصّ القديم:

نستند في عرضنا أسلوب تجنيد عضو التّنظيم الخاصّ بالإخوان المسلمين إلى أحد قادة هذا التّنظيم، وهو محمود الصباغ، من خلال ما كتبه ونشر عام ١٩٨٩، وقد استند في عرضه إلى الأوراق المضبوطة في واقعة ضبط سيارة الجيب عام ١٩٥٠، التي حوت الأوراق الخاصّة بهذا التّنظيم (هذا التّنظيم شبه عسكريّ، شديد السريّة، أعضاؤه غير معروفين، مهمّته إثارة الفوضى، والقيام بالتخريب في الدول المستهدفة، كلّ فرع إقليميّ له تنظيمه الخاصّ المستقلّ).

يوضح الصباغ في كتابه أسلوبين من أساليب التّجنيد السياسيّ لأعضاء النّظام الخاصّ بالإخوان المسلمين؛ الأوّل عند بداية تكوين هذا التّنظيم، وكان الأسلوب المتبع هو أن يرتبط بالأخ عبد الرّحمن السندي، بصفته المسؤول عن إعداد هذا الجيش المسلم في تنظيم الإخوان، كلّ مَن يرى نفس الرّأي ويشعر بنفس الشّعور، ويجب الارتباط بالجيش المسلم الذي يجري إعداده لأداء فريضة الجهاد، وكان أوّل ما يتعاهد عليه من يكتشف الأخ الصّالح للارتباط بهذا الجيش مع العضو الجديد؛ هو تميّز هذا الجيش عن الدّعوة العامّة بالسريّة الكاملة، في أقواله وأفعاله، فلا يصحّ الحديث في شأنه إلّا مع زميل من أعضائه الذين يتعرّف إليهم بواسطة قيادة النّظام، وكان أوّل ما يختبر به جديّة العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله؛ أن يكلّف بشراء مسدّس على نفقته الخاصّة، وقد تطوّر أسلوب التّجنيد بعد استكمال البناء التنظيميّ للنّظام الخاصّ؛ فأحد أفراد الجيش يرشّح شخصًا يرى من روحه من يناسب التّجنيد، ثم يرسل التّرشيح إلى القيادة العليا، مرفقًا به بيان الأسباب التي دعت الفرد إلى هذا التّرشيح مع تقرير شامل عن حالة المرشّح الصحيّة والاجتماعيّة، وطباعه البارزة، وميوله الحزبيّة، وثقافته، ويذكر أمام كلّ حالة التّفصيلات الخاصّة بها، ويكفي الميل لأيّ حزب آخر كي يرفض الترشيح رفضًا باتًّا؛ إذ يجب أن يكون المرشّح مؤمنًا تمامًا بصلاحيّة الدّعوة كمبدأ، وأنّه متى توفّر هذا الإيمان التامّ فيمكن ضمّ أيّ شخص، ولو كان ذا عاهة؛ إذ إنّ لكلّ عمل ما يناسبه، ومجلس القيادة هو الذي يقبل المرشّح أو يرفضه، ويمكن أن تسمّي هذه المرحلة في التّجنيد، للانضمام إلى النّظام الخاصّ، مرحلة التّرشيح، فإذا ما قبل المرشّح، تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الاختبار.

ويلاحظ أنّه قد تمّ تشكيل خاصّ بهذه المرحلة، يسمّى «جماعة المكوّنين»، ويتخصّصون في هذا العمل، ويقابل المكوّن الشّخص المرشّح للانضمام إلى النّظام الخاصّ على انفراد، في مكان محدّد (المنزل مثلًا)، ويكون الضّوء مناسبًا، بحيث يكون للمقابلة الأثر المطلوب في نفس الشخص، بعد ذلك؛ تبدأ عمليّة الإعداد والاختبار للعضو المراد تجنيده، من خلال ثماني جلسات تتضمّن التّعرف إلى المعلومات الخاصّة بهذا الشّخص كافة، وتوجيهات خاصّة بالثّقة في القيادة والاقتناع بمشروعيّة العمل، وضرورة الكتمان، وكذلك توجيهات خاصّة بما يجب مراعاته عند تكليفه القيام بأيّ عمل، كما تشمل هذه الجلسات تكليفه بعمل له أهميّته، ورسم خطّة له، ومراقبته أثناء التّنفيذ، ثمّ العدول عن الفكرة، مع إفهامه أسباب هذا العدول بشكل

62- المصدر السّابق.

معقول.

في حالة النّجاح بالاختبار؛ يقدم الشّخص للبيعة في القاهرة، بصحبة باقي أفراد جماعته، ويكون ارتباط أفراد الجماعة وقت البيعة لأوّل مرّة، يقوم رقم (١) بتوصية الأفراد بحقّ الطّاعة لأميرهم بعد البيعة مباشرة، وفي حال الرّسوب في أحد الاختبارات السّابقة؛ يلحَق الشّخص بأسرة، أو ما شابه ذلك من الأعمال العامّة، وفي حالة النّجاح؛ يعرَّف الشّخص أن ما فات كان اختبارًا، وقد اجتازه بنجاح، وأنّه الآن في انتظار أوامر حقيقيّة[٦٣].

يكمل الصبّاغ: تبدأ، بعد ذلك، مرحلة التّكوين للعضو الذي تمّ تجنيده للانضمام إلى النّظام الخاصّ، وتتكوّن هذه المرحلة من خطوات أربع، مدّة كلّ منها خمسة عشر أسبوعًا، تتضمّن الأولى: دروسًا في المحاسبة، وكتابة التّقارير، ودراسة السّلاح، وطريقة جمع الأخبار، ودروسًا في القرآن الكريم، والإسعافات الأوليّة، وتدريبًا رياضيًّا، وبعد الانتهاء من الدّراسة؛ تعقد القيادة امتحانًا في ما ورد فيها، يُنقل النّاجحون فيه إلى المرحلة الثّانية في التّكوين، وتشمل: دراسة قانونيّة، ودراسة عمليّة وتطبيقيّة في مجال رسم الخرائط وتقدير المسافات، ودراسة البوصلة، إضافة إلى بعض التّدريبات الرياضيّة والروحيّة، ويجري امتحان ينتقل من يجتازه إلى المرحلة الثالثة؛ التي تشمل تعليم قيادة الدّراجة الناريّة والسّيارة في القانون، والإسعاف، وتدريبات رياضيّة، إلى دراسة منطقة معينة في القاهرة والأقاليم، ورسم خريطة جغرافيّة لها، وبيان الأبنية المهمّة تفصيليًّا، كذلك يجري امتحان يؤهّل من اجتازه للمرحلة الرّابعة؛ التي تشمل قيام كلّ فرد من أفرادها بحصر قوّات الشّرطة في قسم معيّن، وحصر قوّات المرور وأماكنهم في منطقة معيّنة، ودراسة عمليّة لمدينة القاهرة، وذلك ببيان أحيائها وعلاقتها ببعضها، ومسالكها، ومواصلاتها، وكيفيّة مهاجمة مكان ما، ودراسة حربيّة، ودروسًا في القانون، وتدريبات رياضيّة، ودراسة في التعقّب يقوم بها كلّ فرد، ثم يعقد امتحان يكون من اجتازه قد اكتسب العضويّة الكاملة في التّنظيم الخاصّ للإخوان المسلمين[٦٤].

نقدّم، من خلال هذا العرض، الملاحظات الآتية:

أ- إنّ أسلوب تجنيد عضو الجهاز الخاصّ بالإخوان قد تميّز بالتعقيد الشّديد، والدّقة البالغة، كما أنّ العضو لا يكتسب العضوية الكاملة إلّا بعد فترة طويلة من التّكوين، تشمل العديد من الاختبارات الدّقيقة.

ب- إنّ عمليّة التّكوين تشمل الجوانب الرّوحية والاجتماعيّة والنفسيّة بالنّسبة إلى الشّخص المرشَّح للانضمام إلى العضويّة، وذلك بحيث يتمّ دمج العضو في الجماعة دمجًا كاملا، كما أنّ هذه المرحلة تتّسم باكتسابه العديد من المهارات، الرياضيّة والعسكريّة، وجمع المعلومات والأخبار، وإعداد التّقارير، كما أنّها تتّسم بطول الفترة؛ فمرحلة التّكوين تتمّ خلال ستّين أسبوعًا، تسبقها مرحلة الاختبار؛ وتستغرق حوالي ثمانية أسابيع، فإجماليّ هذه الفترة حوالي ثمانية وستّين أسبوعًا؛ أي حوالي سنة ونصف السّنة، وهي فترة طويلة يخضع خلالها العضو المرشَّح للمراقبة، وللعديد من الاختبارات الدّقيقة، النّظرية والعمليّة[٦٥].

ج- يتم إلزام العضو المرشَّح بضرورة الكتمان، وعدم إفشاء السرّ، وإلّا تعرّض للموت، وقد جاء في هذا الصّدد؛ أنّ أيّة خيانة أو إفشاء سرّ، بحسن قصد أو بسوء قصد، يعرّض صاحبه للإعدام، وإخلاء سبيل الجماعة منه مهما كانت منزلته، ومهما تحصّن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة، ويتمّ إلزامه، كذلك، بالثّقة التّامة في قيادته المباشرة، فلا يجوز له رفع الأمر إلى القيادة الأعلى إلّا عن طريق رقم (١)، ومخالفة ذلك ينظر فيها مجلس للتّحقيق.

63- الصبّاغ محمود، حقيقة النّظام الخاصّ، دار الاعتصام، القاهرة، ص 33.

64- المصدر....

65- المصدر السّابق، ص 49.

ما نصل إليه من خلال هذا العرض المفصَّل لأسلوب التّجنيد السياسيّ لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين، سواء في محيطها العامّ أو النّظام الخاصّ، يتمثل في النّتائج الآتية:

(١) تعدّدت أساليب التّجنيد السياسيّ للأعضاء، وتطوّرت بما يتناسب ومراحل تطوّر الجماعة، سواء بالنّسبة إلى مستوى الدّعوة العامّة العلنيّة، أو مستوى التّنظيم الخاصّ السريّ، الأمر الذي يعني توافر الخبرات التّنظيمية الكفوءة والفعّالة لدى الجماعة.

(٢) إنّ التّجنيد السياسيّ في مفهوم الإخوان لا يتوقّف عند إبداء العضو رغبته في الانضمام إلى الجماعة؛ بل يمتدّ إلى مرحلة قد تطول أو تقصر، بحسب نوع العضويّة التي سيرشَّح لها العضو الرّاغب في الانضمام، يتعرَّض خلالها العضو المرشّح لإعداد فكريّ ونفسيّ، وبدنيّ، ومهاراتيّ، يتناسب ونوع العضويّة المرشَّح لها ودرجتها.

(٣) إنّ عمليّة تكوين العضو المرشَّح تُقسَّم بمحاولة دمجه دمجًا كاملًا في الجماعة، وتتمّ هذه العمليّة على مراحل، بحيث يشعر العضو أنّه أمر طبيعي، وقد أشار إلى ذلك قاتل النقراشي باشا في اعترافاته أمام المحكمة، فقال: «إنّه انتقل إلى العمل في النّظام الخاصّ بالإخوان بشكل تدريجيّ طبيعيّ، ولم يشعر بأيّ جديد في الأمر»[٦٦]، عمليّة الدّمج هذه كانت تتمّ من خلال إحاطة العضو بسيل من الواجبات التي تحيط بحياته كلّها، وترسم له أعماله، وسلوكه اليوميّ، وعلاقاته الشخصيّة، وأدقّ تفاصيل حياته، واتّباع هذه التّعليمات يجعل العضو عضوًا بالجماعة في كلّ لحظة من لحظات حياته، فيمارس نشاطه اليوميّ باعتباره عضوًا وأخًا مسلمًا، بحيث يصبح كما لو كان يستمدّ وجوده المادّي من الجماعة، ويخلق فيه ذلك الطّواعية والسّلاسة لجماعته، فيشكّل، مع الآخرين من إخوانه، مجتمعًا مغلقًا يحيا أفراده حياتهم اليوميّة وفق تعليمات وضعتها قيادتهم، لا يشاركهم أحد في الالتزام بها من خارجهم، بهذا يذوب الأفراد في الجماعة، وفي زعيمها المجسّد لها المبايع على السمع والطّاعة، بواسطة أمور لا تتعلّق بهدف سياسيّ معيّن، ولا بمنطق عقليّ واضح، ولا بنشاط عامّ محدّد؛ إنّما يذوبون بالانسياق من الدّاخل، باعتبار ما يتهدّد الكيان الذّاتي للفرد الذي تبني الجماعة جزئيّاته، وما يتهدّده من انهيار وتهدّم لو لفظته الجماعة من صفوفها.

عمليّة الدّمج هذه، وتكوين المجتمع المغلق، والإحساس المغالي فيه بالذّات، يدفعه للانتماء إلى الجماعة التي يعدّ منهاجها وحده، هو الإسلام الصّحيح، ولا يعدّ غيره كذلك[٦٧]، كلّها عوامل تكوّن إنسانًا متعصّبًا لجماعته لا يقبل بسهولة رأي الآخر الذي يختلف معه في الفكر؛ بل ينظر إلى هذا الآخر نظرة متعالية تستند، ضمنيًّا، إلى أنّ إسلام هذا الآخر غير صحيح، طالما أنّه لم يوالِ الجماعة، ولم ينضم إليها، وهكذا يكون عضو الجماعة قد خطا خطواتٍ واسعة نحو العنف السياسيّ كسلوك.

(٤) على الرّغم من أنّ عمليّة الدّمج الكليّ للعضو في الجماعة تعدّ شاملة للأعضاء كافّة؛ فإنّها تتمّ بدرجة أكبر بالنّسبة إلى درجتين مهمّتين من درجات العضويّة، هما: درجة المجاهدين، ودرجة أعضاء النّظام الخاصّ، وأعضاء هاتين الدّرجتين هم اللذين سيمارسون العنف السياسيّ في أوضح صوره، كالاغتيال السياسيّ مثلًا، الأمر الذي يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، من أنّ أسلوب تكوين العضو بعد تجنيده يؤهّله لممارسة العنف السياسيّ.

(٥) إنّ هذا الأسلوب في تكوين عضو الجماعة يرجع إلى رؤية الإخوان المسلمين للإسلام، بوصفه نظامًا يشمل جوانب حياة الإنسان كافة؛ وفي هذا الصّدد، يقول الشيخ عمر التلمساني: الدّين لا يعرف شيئًا اسمه سياسة، لكنّ الدّين ينظّم حياة الفرد في جميع النّواحي، كيف يأكل ويشرب، يتاجر ويتزوّج، كيف يحكم وكيف يُحكم، وكيف ينام، حتّى إنّ أحد الأعراب قال لبعض الصّحابة: لقد علّمكم الرسول كل شيء، حتّى قضاء

66- المصدر السّابق، ص 51.

67- المصدر السّابق.

الحاجة.

إنّ القول: «إنّ الإخوان المسلمين يعملون في السّياسة»، هو قول غريب، ونحن نشتغل بالدّين، وعندما أقول: (الرّبا حرام)؛ فإنّني لا أتعرّض إلى النّاحية السياسيّة والاقتصاديّة للبلد، لكنّني تعرّضت للناحية الدينيّة بالتّصدي، كذلك إذا قلت: إنّ الدّين يطالب بحريّة الفرد وحكم الشّورى، فأنا لا أتكلّم في ناحية سياسيّة في الحكم أبدًا؛ بل أتكلّم لأنّ الله- سبحانه وتعالى- يقول وأمرهم شورى بينهم.

(٦) إنّ الجانب المتعلّق بالنّواحي العسكريّة أعطى النّظام الخاصّ بالإخوان أهميّة بالغة في مرحلة تكوين العضو، ولم يقتصر على الجانب القتاليّ فحسب؛ بل امتدّ إلى الجانب السياسيّ لاستخدام الأداة العسكريّة، ممثّلًا في جمع المعلومات والأخبار والتّدريب على إعداد التّقارير في هذا الصّدد، الأمر الذي وفّر لقيادة النّظام الخاصّ معلومات وفيرة عن الحالة الأمنيّة في البلاد والأماكن الاستراتيجيّة فيها، وكيفيّة السّيطرة عليها، خاصّة، بالنّسبة إلى العاصمة القاهرة، وهو الأمر الذي يثير أكثر من تساؤل حول الهدف من جمع هذه المعلومات، بغضّ النّظر عن المقولة التي يطلقها الإخوان عادة لتبرير ذلك، بوصفه إعداد المقاتلين والفدائيّين لمواجهة المستعمر، خاصّة مع إجماع مؤرّخي هذه الفترة على ضعف مشاركة الإخوان في هذا النّشاط.

(٧) اعتمدت جماعة الإخوان على علاقات العبادة والصّداقة والقرابة كمدخل للتّجنيد السياسيّ للأعضاء، وإن كان اعتمادها أكثر على علاقات العبادة والقرابة في المستوى العامّ العلنيّ للجماعة، والذي يطلق عليه المحيط العامّ، أمّا في ما يتعلّق بالنّظام الخاصّ؛ فكان المدخل الأساسيّ علاقة الصّداقة؛ فمحمود الصبّاغ انضمّ إلى عضويّة هذا النّظام من خلال صديقه مصطفى مشهور، كما أنّنا لا نجد، من خلال تحليل علاقات قيادة هذا الجهاز، أيّة علاقة للقرابة، الأمر الذي يؤكّد ما توصّلنا إليه من أنّ علاقة الصّداقة كانت المدخل الأوّل الذي اعتمدت عليه الجماعة للتّجنيد في النّظام الخاصّ.

(٨) إنّ اهتمام الجماعة ومرشدها الأوّل بالصّعيد، إلى حدّ قيامه برحلاته إلى قراه، ونجوعه في فصل الصّيف الشّديد الحرارة في هذه المنطقة، يثير أكثر من تساؤل حول أهميّة اتّخاذ البعد المكانيّ في التّحليل، خاصّة أنّ صعيد مصر يعدّ من أكثر المناطق تخلّفًا من حيث الخدمات والمرافق التّحديثيّة، كما تسوده نوعيّة معيّنة من العلاقات الاجتماعيّة التقليديّة، التي تحتلّ فيها العائلة والقبيلة والعشيرة مكانة مهمّة، وتشير إحدى الدّراسات إلى أنّ مدينة أسيوط قد أصبحت معقلًا مهمًّا للإخوان المسلمين عام ١٩٣٦، بحيث استطاعت الجماعة أن تجنّد في صفوفها أئمّة المساجد ومدرّسي المدارس الأوليّة، الأمر الذي أكسبها فعاليّة سياسيّة في أحياء أسيوط الفقيرة، وممّا ضاعف، في الوقت نفسه، استقطاب الإخوان لفئات واسعة، أنّ أسيوط استهدفت، منذ منتصف القرن التّاسع عشر، من حملات التّبشير المختلفة، الأمر الذي يجعلنا نصل إلى أنّ جماعة الإخوان كانت تعطي اهتمامًا خاصًّا بالبعد المكانيّ، وخصائصه في عمليّة التّجنيد السياسيّ للأعضاء.

التّجنيد في التّنظيم السريّ الموازي ١٩٧٠– ٢٠١١:

تحدّث عدد من القيادات المنشقّة في الجماعة عن فترة تأسيس تنظيم مواز داخل الإخوان، بداية من أوائل السبعينيّات، يقول القيادي السّيد عبد السّتار المليجي: سارت الأمور في العلن على طريقة الأستاذ عمر التلمساني، ونال بطريقته ثقة جميع الأوساط الدعويّة؛ كالجامعات، وجميع المؤسّسات الدّعوية كالأزهر، والجمعيّات الخيريّة؛ كالجمعيّة الشرعيّة، وجمعيّة الخلفاء الرّاشدين، وأنصار السنّة المحمديّة، وأصبح صديقًا محبّبًا للجميع حتّى السّادات، غير أنّ المتعوّدين على العمل السريّ لم ترق لهم طريقة التلمساني، ومع كثرة الشّباب المتديّن وتهافته على كلّ قديم، ما كان للصيّاد المتربّص أن تفوته الفرصة، وعادت «ريمة لعادتها القديمة»، وبدأت فكرة تكوين نظام خاصّ جديد قديم، بنفس شخصيّاته القديمة (مصطفى مشهور، وأحمد حسنين، ومن تبعهم من بقايا تنظيمات ٦٥ التكفيريّة)، وكنتُ واحدًا ممّن بايعوا المرحوم الحاج مصطفى، عليّ السّمع والطّاعة في المنشط والمكره ضمن التنظيم الجديد، لكن بنيّة مختلفة عنهم، كما تكشّف

فيما بعد؛ فقد كنت أتصوّر أنّه يأخذ البيعة نيابة عن المرشد المعلَن عمر التلمساني، وأنّنا جميعًا في مركب دعويّ واحدٍ، كما أنّني في هذا العمر لم يكن لي دراية بتاريخ التّنظيمات السريّة الإخوانيّة[٦٨].

يكمل قائلًا: عشت مع الأستاذ مصطفى مشهور في وسط عام ١٩٨٦ قبل اعتقالات ٣ سبتمبر ١٩٨١ الشّهيرة، وعندما وجدني الحاج مصطفى مشهور في وسط عام ١٩٨٦ منهمكًا في العمل، ضمن منظومة الأستاذ عمر التلمساني بكلّ قوّة ودأب، وزارني في بيتي في مدينة بمدينة نصر، وتداول الأمر وتأكّد أنّني ضمن فريق العمل الإخوانيّ المكلّف من الأستاذ التلمساني، فلم يفاتحني في شيء مخالِف، لكن، من حيث الواقع العمليّ؛ فقد بدأت متاعبي معه ومع الفريق الذي حوله[٦٩].

يضيف: كان الطّبيب حديث التخرّج محمود عزّت يعمل بالعيادة الخاصّة بمصنع الشّريف في شبرا الخيمة، كنت وقتها رئيس المعامل وضبط الجودة في شركات ومصانع الشّريف، ومعيدًا في كليّة العلوم جامعة المنيا، وطالب ماجستير بكلية العلوم بجامعة عين شمس، وأحد أعضاء تنظيم إسلاميّ جديد بالقاهرة، تشكّل من بقايا تنظيم الفنية العسكريّة بعد فشل المحاولة الأولى للإطاحة بنظام السّادات، ولم يكن لي علاقة بالعيادة، ولم التفت إلى وجود محمود عزّت قطّ، ولا أذكر السّبب الذي دعاني من أجله لزيارته بالبيت[٧٠].

ويستطرد: كنت مشغولًا في هذه الأيام بالعمل الإسلاميّ في حيّ النّزهة، ومساجدها التي كانت تعجّ بالنّشاط الدعويّ البعيد عن مسمّى الإخوان المسلمين، والمصبوغ بصبغة الجماعات الإسلاميّة أو الصحوة الإسلاميّة، قبلتُ الدّعوة وزرته في البيت، مدّ يده وأعطاني مصحفًا، وخيّرني في تلاوة السّورة التي أحبها، مباشرة عمدت إلى سورة «غافر»، وقد هممت بالانصراف شاكرًا له حسن استضافته ورغبته في التّعرف إلى شخصي، وضع يده في جيبه وأعطاني ورقة مطويّة بشدّة حتّى صارت بمساحة ٤ سم مربّع، أخذتُها، واحتياطيًّا، فتحتها على السّلّم، وأخذت عنها فكرة سريعة، ثم وضعتها في جيبي، ولم أقرأ ما فيها بدقّة حتّى رجعت للمنزل عقب صلاة الجمعة، وكانت ورقة بسيطة للغاية مكتوبة بالقلم الرّصاص، وتبدأ بعرض ما في المجتمع من منكرات، وتعلّق على ذلك على بعد المجتمع عن الدّين، وتعرّض البديل تلقائيًّا بضرورة التمسّك بالدّين، والعمل على نصرته، والبحث عن الجماعة المناسبة للقيام بهذا الدّور.

ويردف قائلًا: لم يكد عام ١٩٨٥ ينصرم حتّى بدأت إرهاصات القلق على أعصاب التنظيم السريّ، وبدأت طلائعهم تتقاطر على مصر بغير مبرّرات معقولة لعودة المعارين، ولوحظ أنّهم يأتون ويرفضون الاندماج فيما هو قائم، وبدؤوا حملة من الشّائعات حول إخوانهم الباقين هنا في رحاب الوطن، فنشروا مقولة «الحيّ أبقى من الميّت»، وكانت تعني أنّ العمل بالأحياء (التّنظيم السرّي) يفضّل على العمل بالنقابات والجامعات والمؤسّسات العلنيّة، وكان الهدف؛ إسقاط نقاط القوّة لتنظيم التلمساني، وتقوية العمل السرّي تحت قيادات جديدة وافدة[٧١].

(٧) تحوّلات في منهجيّة التّجنيد (العودة إلى العمل المسلّح):

جاء خطاب قيادات الإخوان على منصّة اعتصام رابعة العدويّة، ليكشف أنّ مواقف الإخوان خلال الأربعين عامًا الماضية بشأن إدانة العنف، والقبول بمدنيّة الدّولة، والاحتكام إلى الإرادة الشعبيّة، لم يكن إلّا خطابًا مرحليًّا، فرضته ظروف إعادة بناء التّنظيم، فلمّا وقع الصّدام الحتميّ بين الدّولة والمجتمع من جهة، وبين تنظيم الإخوان من جهة أخرى، كشفت الجماعة عن وجهها الحقيقيّ، وظهرت الأفكار التى تربّى عليها

68- المليجي عبد الستار، كتاب «تجربتي مع الإخوان» ، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، ص 202.

69- المصدر السّابق.

70- المصدر السّابق، ص 203.

71- المصدر السّابق.

أفراد الإخوان لسنوات طويلة في محاضن التنظيم.

تدبّر مناهج الإخوان يؤكّد أنّ العنف وسيلة معتمدة لدى الجماعة، يتربّى أعضاء التّنظيم على انتظار لحظة مواتية لاستخدامها؛ بل إنّ الخطاب السّائد داخل الأسر الإخوانيّة يرسّخ للأفكار العنفيّة، باعتبار أنّ دولة الإسلام المنتظرة لن تقوم إلّا بعد معركة دامية بين الحقّ والباطل، وهو ما اشتهر بين دارسي الإخوان بمفهوم «العنف المؤجَّل»؛ أي العنف حينما يأتي وقته وتقدر عليه الجماعة، ولا يكون له تبعات ولا حساب.

كان المرشد المؤسّس حسن البنا أوّل من أشار إلى اهتمام الإخوان بالقوّة، فقال في رسالة المؤتمر الخامس: إنّ أوّل مراتب القوّة هي قوّة الإيمان والعقيدة، ثمّ يلي ذلك قوّة الوحدة والارتباط، ثمّ بعدهما قوّة السّاعد والسّلاح، ولا يصحّ وصف جماعة بالقوّة حتّى تتوافر لها هذه المعاني جميعًا.

ولا يخطر ببال أحد أنّ البنا يتحدّث عن السّلاح في يد الدّولة؛ بل هو يصرّح في جلاء أنّ جماعته ستستخدم القوّة متى استعدّت لذلك، فيقول: إنّ الإخوان المسلمين سيستخدمون القوّة العمليّة؛ حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون في أنّهم قد استكملوا عدّة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوّة سيكونون شرفاء صرحاء، وسينذرون أوّلًا، أمّا الثّورة؛ فلا يفكّر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها.

لم يكتف البنا بالكلام العامّ عن القوّة؛ بل حدّد مفهومه لإعداد الجماعة عسكريًّا، فقال في نفس الرّسالة: «في الوقت الذي يكون فيه منكم- معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمائة كتيبة قد جهّزت كلّ منها نفسها؛ روحيًّا بالإيمان والعقيدة، وجسميًّا بالتّدريب، طالبوني في هذا التّوقيت بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السّماء، وأغزو بكم كلّ عنيد جبّار، فإنّي فاعل، إن شاء الله، ألِّفوا الكتائب، وكوِّنوا الفرق، وأقبلوا على الدّروس، وسارعوا إلى التّدريب».

وقد اختار البنا رقم ٣٠٠ كتيبة؛ لأنّه كان ينظّم الإخوان في كتائب، عدد كلّ منها ٤٠ عضوًا، فيكون إجماليّ الكتائب ١٢ ألفًا، إعمالًا للحديث النبويّ الذى رواه أبو داود: «ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلّة»، فالبنا، وبنصّ كلامه، لم يغز العالم، لأنّ النظام الخاصّ الذي أنشأه لم يبلغ عدده ١٢ ألفًا من أقوياء الإيمان والتدريب.

أمّا منير الغضبان؛ فتحدّث عن استخدام الحركة الإسلاميّة للقوّة بمنتهى الوضوح، ودون مواربة، وفى مواضع عديدة من كتابه «المنهج الحركي للسيرة النبويّة»، مؤكّدًا أنّ مشاركة الإخوان في الحياة السياسيّة ترجع إلى عدم قدرتهم على هزيمة الجاهليّة بالقوّة، فيقول في صفحة ٨٧: «وقد تكون الحركة الإسلاميّة غير قادرة على إنهاء الجاهليّة من جذورها؛ بل تقتضي الظّروف السياسيّة والاجتماعيّة والدوليّة أن يكون الوصول للحكم من خلال مؤسسات دستوريّة عن طريق الحريّة والانتخابات، ولا تملك القوّة العسكريّة للمسلمين أكثر من حماية هذه الحريّة».

عن العمليّات الإرهابيّة ضدّ الأنظمة الكافرة يقول الغضبان: «إنّ الحركة الإسلاميّة حين تعلن بعض فصائلها الحرب ضدّ الطواغيت، تغدو مرهوبة الجانب، يخشاها العدو، ويسارع الخصوم إلى التّحالف معها، وهذا خطّ يحسن أن تتربّى عليه الحركة الإسلاميّة، وهي تواجه أعداءها، أن تكون الضّربة موجعة، والعمليّة مزلزلة، حتّى يحلّ الإرهاب في القلوب، أو يسقط النّظام الكافر».

تحت عنوان «عمليّات الاغتيال السياسيّ وأثرها في بثّ الرّعب في صفوف العدو»، يقول الغضبان في صفحة ٣٤٧: «إنّ من يستحقّ القتل في حربه المسعورة على الإسلام، وليس هو مجال شبهة في هذا العداء، وأقدم شاب على قتله، دون إذن القيادة، فهو نصر للإسلام بظهر الغيب، فزعماء الطاغوت، اليوم،

الذين أشعلوا الحرب على المسلمين، هؤلاء يُتقرَّب إلى الله بدمائهم[٧٢].

لعلّ من لا يعرف طبيعة الإخوان المرحليّة يتعجّب حين يجد الغضبان يشيد في كتابه بقتلة الرّئيس الرّاحل أنور السادات؛ الذي أخرج الإخوان من السّجون، وفتح لهم مجال العمل العامّ؛ حيث يقول المؤلّف في نفس الصّفحة: «ما فعله شباب الإسلام في الحاكم الذي تحدّى المسلمين في الأرض، فصالح عدوّهم (اليهود) في يوم عيدهم، حين قتلوا هذا الطّاغية، إنّما غسلوا عار المسلمين جميعًا في أرض الكنانة، ونصروا الله تعالى ورسوله بالغيب".

أمّا عن أنسب وأفضل من ينفّذ عمليّة الاغتيال، فيقول الغضبان في صفحة ٣٥٠: إنّ أقدر الناس على تنفيذ عمليّة الاغتيال أبعدهم عن الشكّ فيه، ومن يمت بقرابة أو صلة رحم، أو صداقة من هذا المجرم.

يبيح الغضبان للحركة الإسلاميّة كلّ وسائل الخداع حتّى تنجح في تنفيذ عمليّة الاغتيال المطلوبة، فيقول: إنّ اتّخاذ مظاهر الكفر، وإعلان الكفر، والنّيل من الإسلام والمسلمين لتحقيق مثل هذه المهمّة، أمرٌ لا حرج فيه.

يرى الغضبان أنّ الحركة الإسلاميّة مطالبة بإتقان عمليّات الاغتيال، وباختيار أهدافها بعناية، فيقول في صفحة ٣٥٣: لقد حقّق الاغتيال هدفه حين أحكمت خطته، ومهمّتنا اليوم أن نتقن هذا الفنّ ونحكمه، ولا بدّ من أن تكون عمليّات الاغتيال هادفة، محقّقة لعنصر بثّ الرّعب في صفوف المجرمين[٧٣].

شهدت مناهج التّجنيد في جماعة الإخوان المسلمين، في سنوات ما بعد رابعة ، تحوّلًا كبيرًا، بعد سقوط نظام الرّئيس الأسبق محمد مرسي، ودخول الجماعة في صدام عنيف مع أجهزة الدولة المصريّة؛ حيث اقتربت الجماعة من نظم التّجنيد عند الجماعات الجهادية، بسبب الضّغوط الأمنيّة عليها، الانخراط جزء من التنظيم في العمل المسلح المباشر مع الدولة[٧٤].

لم يخطر ببال أحد أن يكون محمد كمال الدين، أستاذ الطبّ في أسيوط وأحد أعضاء مكتب الإرشاد؛ هو من يؤسّس للتحوّل نحو العمل المسلّح في التّنظيم، وقد دشّن كمال وجبهته معادلات جديدة: امتلاك القوّة = الثّورة في الشّارع + القوّة المسلّحة، كما وضع ذاك الجناح خطّة لـ «الإرباك والإنهاك والإفشال»، ثمّ «السّيطرة على المفاصل = السّقوط»[٧٥].

غيّرت تلك القيادات عددًا من شعارات الجماعة الشّهيرة، من أمثلة: «سلميّتنا أقوى من الرّصاص» إلى «سلميّتنا أقوى بالرّصاص»، باعتبار أنّ السلميّة ليست ثابتًا من ثوابت الإخوان والتّنظيم والإسلام.

أعاد كتاب فقه المقاومة الشّعبية الذي وضعه «جبهة كمال» إحياء مقولات «قتال الطّائفة وأحكام المعاونين»، كما تحدّثت عن ما أسمته لحظة الحسم، وهي ما تعني امتلاك مؤسّسات الدّولة، بحجّة أنّ دفع الصّائل «بديهيّة من بديهيّات الإسلام لا يدافع عنها إلّا إنسان انتكست فطرته»[٧٦].

---

72 كتاب «المنهج الحركيّ للسيرة النبويّة» ظلّ مقرّرًا على أسر الإخوان في مستوى المنتظم لأكثر من 20 سنة، وكلّ القيادات الإخوانيّة، العليا والوسيطة، وجميع الأعضاء العاملين بالجماعة الآن درسوا هذا الكتاب فقرة فقرة، وسطرًا سطرًا، وتعاملوا معه ليس فقط باعتباره منهجًا معتمدًا من التنظيم، لكن باعتبار أنّ أفكاره ونتائجه، كلّها، مستقاة من السيرة النبويّة.

73 مقال بعنوان «الجنديّة والبيعة وقداسة المرشد» في مناهج الإخوان (1- 3) لهيثم أبو زيد.
رابط :
6712e112c858-874f-4fc3-b139-2fbc8a62=id&12022014=cdate?aspx.view/news/com.shorouknews.www//:http

74 حوار مع القيادي في الإخوان ، مجدي شلش، على قناة «مكملين» رابط:
ffxvHduo064=v?watch/com.youtube.www//:https

75- المصدر السّابق.

76- المصدر السّابق.

تغلغلت تلك الجبهة في صفوف الجماعة للقيام بعمليّات تجنيد داخليّة لصالحها، وإدخال مفاهيم كانت بعيدة عن التّنظيم، واعتبار النّظام القائم مجموعة من (البغاة، الخوارج، الصّائلون، المحاربون)، وكلّ من شارك في أسموه «الانقلاب» كلّ له حكمه؛ إمّا قتلاً أو تعذيرًا.

الخلاصة:

إنّ لجماعة الإخوان مناهج مكتوبة للدّعوة والاستقطاب والتّجنيد، إلّا أنّها لا ترقى لنفس المستويات الأخرى، غير المكتوبة، وهي المناهج العرفيّة والسريّة، وهي مناهج يتوارثها الإخوان عمليًّا، جيلاً عقب جيل، كما ثبت أنّه كلّما زاد الضغط الأمنيّ على الجماعة ودخلت في مساحة أكثر سريّة، قلّت نسب التّجنيد داخلها؛ إذ إنّها تقترب من وضعيّة التنظيمات السريّة التي تراعي قدرًا كبيرًا من الحيطة والحذر، فضلاً عن تردّد الأفراد المستهدَفين بالتّجنيد من الانخراط في مثل تلك التّنظيمات، وكلّما اقتربت من مساحة العلنيّة والابتعاد عن مساحة الصّدام العنيف بالسّلطة، أتيحت لها فرص كبيرة في استقطاب عناصر جدد.

hafryatnews

hafryat news

hafryatnews

صحيفة حفريّات تصدر عن مركز دال
35 شارع إسراء المهندسين ـ ميدان لبنان
الجيزة ـ جمهوريّة مصر العربيّة
www.hafryat.com

All rights reserved © 2017
www.hafryat.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
www.hafryat.com